رواية.....

دمـــاء فـــوق القـــانـون

محمـــود فيصـــل

الناشر
دار الآفاق العربية

فيصل، محمود
دماء فوق القانون.
ط 1 ، القاهرة : دار الآفاق العربية 2018
216 ص ، 20 سم

1- القصص العربية .

أ. العنوان 813

تدمك: 1 – 421 – 344 – 977 – 978
رقم الإيداع : 4005 / 2018
الطبعة الأولى
1439 هـ / 2018 م

جميع الحقوق محفوظة
لدار الآفاق العربية
نشر – توزيع – طباعة
55 شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 00202- 22617339 تليفاكس : 00202-22610164

Emails: dar.alafk@yahoo.Com
selim.selim10@yahoo.com
daralafak2017@gmail.com
dar.alafk@Gmail.com

- 1 -

داخل شقة فخمة يغطيها من كل مكان كالنمل رجال الشرطة، وفي الخارج أمام باب الشقة تمنع الشرطة الجيران من الاقتراب للفضول والحديث الذي يدفعهم للهمس مع بعضهم البعض لمعرفة ما حدث.

أما السبب الذي اجتمع له كل هؤلاء البشر هو وجود جثة لامرأة شابة على الأرض مغطاة بغطاء أبيض وأمام الجثة جالساً على فوتيه "القاتل" شاب يعصر من وجهه الندم وملامح الانكسار. يغطي بيده الندم من على وجهه، لا يستطيع رفع عينيه ينظر إلى الجثة، بجانبه مبلغ من المال. تبقي الحالة في صمت وسكوت، إلى أن خرج من المصعد ليأتي إلى الشقة وكيل النائب العام "أحمد المسلم" صاحب الوجه الهادئ الذي من أجله قامت الشرطة بإبعاد الجيران كي تفسح له مجالاً للمرور من بين الزحام.

دخل وكيل النائب العام وقابله من عند الباب "الضابط المسئول" عن التحقيق قائلاً في نبرة استعجال:

- مساء الخير يا " أحمد بيه "... الجثة من هنا

وتوجه "الضابط" إلى الصالة على خطوة متقاربة من "أحمد المسلم" الذي يجوب المكان كله بعينيه ثم اقترب من الجثة، ركع فوق ركبته رفع الغطاء من على وجه الجثة .. **حدث "الضابط":**

- آثار الاعتداء واضحة على وجه القتيلة.

ونظر ناحية الشاب القاتل ثم إلى المال الذي بجانبه، فقام "الضابط" بتعريفه قائلاً:

- القاتل اسمه " بدر مصطفى زهران " 27 عاما.

أعاد "أحمد المسلم" الغطاء على وجه القتيلة، ثم جلس على كرسي بجانب القاتل، متجهاً بعينيه إلى القتيلة . سائلاً القاتل:

- قمت بالاعتداء عليها ؟!

حرك القاتل رأسه مشيرا "بنعم" وكل من القاتل و"أحمد المسلم" لا ينظر إلى الآخر وكأنما كلاهما ليس مع الآخر .

وجه "أحمد المسلم" حديثه إلى "الضابط" . سأله:

- من الذي قام بالإبلاغ عن الحادث؟

"الضابط":

- جاره الذي قام بإبلاغ الشرطة عندما سمع صوت صراخ قادم من الشقة .

ونظرات "أحمد" تتجول في المكان قائلاً:

- أين هو؟

التفت "الضابط" عن يمنيه، يأمر أمين شرطة بحضور الجار الذي ابلغ عن الحادث، وعاد "أحمد" ينظر إلى القاتل لمدة ثلاث ثوانٍ، ثم سأله عن علاقته بالقتيلة. فنظر القاتل إليه ثم وضع عينيه بانكسار إلى الأرض لا يجيب على السؤال. **فقام "الضابط" عنه بالإجابة:**

- عشيقته

يرمقه القاتل بنظرة صاخبة تحمل معاني كثيرة بداخله ولا يبديها، يكمل "الضابط" الجواب:

- واسمها "آمال رمضان الوكيل" ... مقيمة في مصر القديمة وعمرها 25 سنة.

أتي أمين الشرطة ومعه الجار يقدمه لوكيل النيابة "أحمد المسلم"، رجل مسن عليه علامات الإرهاق والاضطراب لا يستطيع حتى الكلام .

لمح "أحمد" إهانة سن الرجل في هذه الليلة قام بسحب كرسي من كراسي مائدة الطعام، فجلس الرجل يأخذ في أنفاسه المتقطعة التي يحاول أن يختلسها من الهواء .

وبعد قليل قام "أحمد المسلم" يسأل الجار وهو يجيب في شبه كلمات متقطعة، في خروج الكلام الثقيل من فمه، ويقوم "أحمد" يطلب له كوب ماء بعد سعال طويلة .

ابتسم الرجل على لطف معاملة "أحمد المسلم" وصبره الشديد عليه إلى أن انتهى من شهادته، فقام "أحمد المسلم" بمساعدته في النهوض وطلب منه وهو يستأذنه في الحضور غداً إلى النيابة .

ثم وجه حديثه إلى "الضابط":

- أدخل الآن حارس الأمن.

واتجه نحو القاتل يسأله:

- هل لديك أي اعتراض في أقوال جارك السيد "سامي حمدي".

أشار برأسه مشيراً (لا) وأخذ نفساً عميقاً وطرده وكأنه لا يستطيع إنكار الحقيقة. فالتفت "أحمد المسلم" إلى رجال الإسعاف ليحملوا الجثة، وأخذ "أحمد المسلم" القاتل تحت ذراعه، متوجهاً إلى الكاتب.

أخذ من يد الكاتب المحضر نظر فيه وسأل القاتل:

- هذا هو اعترافك ؟

أجابه وهو يبتلع ريقه ولم ينظر إليه:

- اعترافي

يسير "أحمد المسلم" خطوتين إلى الأمام، يقرأ الاعتراف فأتى عليه "ضابط الشرطة" قائلا:

- لقد انتهى فريق البحث الجنائي من رفع البصمات وأنا أيضاً لقد انتهيت من كتابة المحضر بالواقعة.

نظر "أحمد المسلم" إلى القاتل ووضع يده على كتف "بدر" قائلاً:

- سوف تقوم بتمثيل الجريمة.

واتجه "أحمد المسلم" بعينيه إلي "الضابط" قائلاً:

- في التاسعة صباحاً سيقوم المتهم بتمثيل الجريمة.

ثم يقف بأحد الجوانب وحده ليطمئن علي زوجته "نهى" وقد شعر من صوتها الوجع، لما يراه كل يوم في عينيها، أنهى تحقيقاته ورجع مسرعاً إلى شقته.

على وجهه اللهفة والخوف، دخل إلى غرفة نومه ليجد زوجته الحامل جالسة تتصفح مجلة .

اقترب قليلاً منها، يسألها وهو يبتلع الاطمئنان:

- لقد أقلقتني نبرة صوتك .. ما بكِ؟.

استمرت في التصفح قائلة:

- لا داعي يا حبيبي للقلق أنا بخير.

تُخفي عليه المرض وتكابر أنها بحالة جيدة، تصنع من وجه دبلان ابتسامة مزيفة تبعث منها رسالة اطمئنان . فتضع المجلة وتأتى لتقوم تعد له العشاء وكأنها إرادة الهروب من عينيه التي تكذبها، أبى وجعلها تجلس على السرير ترتاح، **وجلس بجانبها ويده تحضن يدها وكأنما يغازلها:**

- أنا الذي سوف أعد العشاء وأنتِ ما عليكِ سوى الانتظار هنا.

نظرت "نهى" في عينيه تملأ عينيها منه قائلة:

- أشعر بالتعب فقط من قلقي وخوفي عليك.. لكن حينما أراك أمامي تهدأ أنفاسي المتعبة وأرتاح.

وقامت من على السرير تشده معها، يدها في يده ليدخلا المطبخ، يسرع "أحمد" وشد لها كرسياً وكأنما يشترط عليها . وجودها مقابل جلوسها، تخضع لأمره وتجلس تسأله عن يومه اليوم، **أجابها وهو يحضر الطعام:**

- يوم شاق ومرهق جداً وانتهى بجريمة قتل، شاب قتل ...!.

وأغلقت عينيها لا تريد المزيد من التخيل. قاطعة حديثه:

- أرجوك لا أحب سماع قصص جرائم القتل.

وتقوم بجانبه تساعده وتسأله سؤال اندهش منه:

- ما كان شعورك إن لم أصبح حاملاً !.

وضع "أحمد" كل شيء من يده وقف أمامها قائلاً:

- كنت وفرت قلقي وخوفي عليكِ طوال الوقت وأيضاً تكلفة المكالمات.

رفع يدها يقبلها وجعلها تجلس مرة أخرى وأكمل:

- أنتِ عندي بالعالم كله .. نعمة من الله لم أكف شكرها حتى أتجرأ وأطلب أن أكون أباً.

أكثر من خجلها منه زاد حزنها وكأنها أبحرت بداخلها عن شيء مؤلم وسرعان ما عادت قبل أن تنجرف بعيداً عن هذه اللحظة وقامت تساعده .

****

- 2 -

داخل المقر الرئيسي لمجموعة شركات زهران، داخل مكتب "مصطفى زهران" والد "بدر" المتهم في جريمة القتل ومعه جالس على مائدة الاجتماعات المحامي أو المستشار السابق "كمال عز" يشرح له أبعاد القضية:

- القضية معقدة أكثر مما توقعنا.

وكأنما على وجه "مصطفى زهران" غبار الصحراء، نظر أمامه على ملف القضية:

- وأنا لن أقف أشاهد ابني يضيع أمامي ولا أفعل له شيئاً.. اتصرف.

هز رأسه وكأنما الحل أصبح غير متاح عن إمكانيته:

- القضية أصبحت منتهية في يد النيابة بعد أن قام "بدر" بتمثيل الجريمة أمام وكيل النائب العام "أحمد المسلم".

اقترب "مصطفى زهران" برأسه من المحامي وكأنما يهدده:

- أنا لا يهمني "أحمد المسلم" أو غيره .. كل شيء في هذه البلدة وله ثمن.

ثم عاد يرتكن على الكرسي كالموجوع المكسور يشكو عن وجعه:

- بعد ما مات أخوه الكبير وأنا لم يعد لي غيره .. أرجوك اتصرف أنت مستشار سابق ولديك كتب تدرس الآن في القانون .. أنت قادر على البحث عن الثغرات التي تساعد في خروج "بدر" من محنته .

بطرفة عين مكسورة نظر المحامي كالذي ليس بيده حيلة قائلاً على خوف:

- بعد اعتراف "بدر" وتمثيله للجريمة أصبحت القضية شبه منتهية.

مرت لحظة صمت بين الاثنين قام بعدها "مصطفى زهران" من مكانه، يسير ثلاث خطوات حول مائدة وعين المحامي عليه تترقبه على خوف، **ثم يقف "مصطفى زهران" ويعود يضرب بيده على المائدة ليفجر بركان غضبه:**

- أنا لن أنتظر حكم الإعدام.. عليك بزيارة "أحمد المسلم".

لم يذهل المحامي مما طلبه منه وكأن ما كان يتخوف منه كان متوقعه، حاول الاعتراض بنظرة عين صنعت المستحيل في تنفيذ ما أراده، **لكن واجه عاصفة صياح من "مصطفى زهران":**

- نفذ ما أقوله لك والآن.

وقف المحامي أمامه:

- وإن رفض.

بنظرة تحدٍ من "مصطفى زهران" قائلاً:

- وأنا لن أمنحه اختياراً.

رأي المحامي في عينيه الشر وكأنما رأى بريق نار البركان الذي بداخله، قام المحامي وهو يلملم ملف القضية قائلاً:

- سوف أحاول .

انتقل في الصباح كالريح إلى مكتب وكيل النائب العام "أحمد المسلم"، جلس معه على فوتيه الضيوف، **دخل العسكري ووضع أمامهما القهوة وبعد أن خرج العسكري بدأ المحامي بالحديث:**

- أنا هنا الآن كمحامٍ ولست بمستشار سابق

ابتسم "أحمد المسلم" وقدم له فنجان القهوة:

- أعلم يا سيادة المستشار! وقد كنت سعيد الحظ حين رأيت اسم حضرتك مقدماً بطلب الحصول على أوراق القضية.. وإنني سوف أتشرف بمقابلتك.

أخذ المحامي رشفة من فنجان القهوة:

- أشكرك على هذا الإطراء.

"أحمد":

- هذه حقيقة كلنا هنا تلاميذك.

المحامي:

- دعنا نتحدث عن القضية.

قام "أحمد" وجلس على كرسي مكتبه:

- في التقرير الذي أمام سيادتك به التقرير المبدئي للطب الشرعي والصفة التشريحية للجثة وتقرير المعمل الجنائي .. أصبح لا يوجد الآن إلا التقرير النهائي للطب الشرعي وسوف تتحول القضية للمحكمة .

ابتسم المحامي وكأنما يشعر بالخجل قائلاً:

- أعلم كل هذا بالضبط ولكن أنا هنا لسبب آخر!.

أجابه "أحمد" باندهاش:

- لم أفهم

المحامي:

- نثبت براءة "بدر" .. ربما يكون اعترف تحت ضغط الشرطة .. وأنت لا تنس أن "بدر" إلى الآن لم يعترف عن سبب دافعه لجريمة القتل.

أغمض "أحمد" عينيه وكأنه يحاول الاستيعاب قائلاً:

- اسمح لي.. "بدر" اعترف بكامل إرادته وقام بتمثيل الجريمة كما حدده التقرير الجنائي المصور لمسرح الجريمة .. أما عن سبب دافعه لجريمة القتل هذا شأنه هو وأمامه المحكمة.. لكن! لو سيادتك ترى شيئاً آخر أحب سماعه.. مع أنني أرى حكم القاضي الآن هكذا كما علمتنا سيادة المستشار!

صمت المحامي قليلاً ثم عاود التحديق في وجه "أحمد" قائلاً:

- لكل قاعدة استثناء.

"أحمد" بعد أن نفض رأسه قائلاً:

- أتمنى أن يكون ما يدور برأسي الآن وسواساً أستعيذ منه.

سأله المحامي:

- تعلم "بدر" ابن من ؟ والد "بدر" سيقوم بدفع مليون دولار مقابل تعديلات بسيطة في القضية تبعد "بدر" عن حكم الإعدام.

نظر "أحمد المسلم" إلى السقف ثم عاد بهدوء طبيعته الشخصية قائلاً:

- عندما سمعت زمان عن تقديمك لاستقالتك في قضية فساد بعض الوزراء ورجال السياسة .. التي قمت بتبرئة جميع المتهمين فيها .. لم أشك للحظة أنك فاسد.. بالعكس دفعت عنك بل وهاجمت الآخرين .. المفروض الآن أعتذر لنفسي قبل الجميع .

وقف "أحمد":

- لم أصدق أن المستشار "كمال عز" صاحب مؤلفات أهم كتب في القانون .. فاسد .

وقف المحامي أمامه:

- أنت لا تعرف الحقيقة.

"أحمد":

- ليس للحقيقة عنوان آخر.. اخرج من مكتبي قبل أن أخرجك من هنا بقضية.

هز المحامي رأسه وكأنه يتفهم موقف "أحمد المسلم" ويخرج مباشرة، يدفع "أحمد" خلفه الباب بقوة ويعطي ظهره للباب نفث في الهواء كأنه يدخن سيجاراً.

قرع هاتفه المحمول ولأنه يعرف من صاحبة هذه النغمة المميزة، نظر إلى الهاتف على مكتبه وابتسم، عاد للجلوس على كرسي مكتبه، **ثم نظر إلى صورة زوجته المتواجدة دائماً على مكتبه وهو يجيب:**

- خرجت أتسحب كاللصوص حتى لا أزعجك وأوقظك.

أخذت "نهى" من الخادمة كوب الماء، **وأخذت قرصاً من شريط الدواء وتتناوله فتجزع فيتغير لون وجهها ويظهر هذا في صوتها وهي ترد عليه:**

- أنا بقلق فقط عندما أستيقظ ولا أجدك بجانبي.

ابتسم "أحمد" وارتكن على ظهر الكرسي ويلف نحو اليمين واليسار:

- أنا آسف .

فأخذت نفساً عميقاً قبل أن تأخذ القرص الثاني من الدواء وكأنما تتجرع سمًّا، وتقبض على يدها من شدة الألم، فيتغير وجه "أحمد" يقف. **سألها:**

- "نهي" أنتِ مريضة.

أجابته مسرعة:

- أبدا يا حبيبي لا تقلق أنا بخير .. تعلم فقط طعم الدواء لا أطيقه .. المهم سوف أخرج لميعادي مع الطبيب.

قرع الباب ودخل أمين شرطة وضع أمامه على المكتب ملف قضية ثم يعطيه الأمين التحية ليخرج فأشار له "أحمد" بالانتظار، **وأكمل باقي حديثه مع "نهى":**

- كان من المفترض أكون معكِ ولا أتركك.

"نهى" وكأنها تخشى وجوده معها قائلة:

- بالعكس أنا متفهمة ومقدرة طبيعة عملك

"أحمد":

- تعلمين أنني أحبك لدرجة التمني أن أعيش العمر بكل مراحله معكِ.

"نهى" بعد أن غاب النور من على وجهها كالتي تشعر بذنب كبير:

- وأنا أكثر .. أتركك لتكمل عملك وعندما أعود سوف أطمئنك .. مع السلامة.

وضع "أحمد" الهاتف واخذ لمحة سريعة من ملف القضية ثم نظر إلى أمين الشرطة:

- ممكن تدخل أول متهم بعد ربع ساعة.

أمين الشرطة:

- أوامرك يافندم.

خرج أمين الشرطة وقام "أحمد" بخلع معطفه وضعه على الشماعة، وعاد يجلس مكانه يفتح ملف القضية، فتخطفه صورة زوجته، فبادلها ابتسامة وكأنه يبعث لها رسالة تحمل معاني الشوق والاشتياق، ويضطر للأسف كما ظهر على وجهه أن يمهل صورتها قليلاً ونظر إلى ملف القضية .

****

- 3 -

عاد المحامي إلى المجموعة ودخل مباشرة مكتب "مصطفي زهران"، وجد معه اثنين من رجال الأعمال، جالسين أمامه على المكتب فوقف جانب مائدة الاجتماع ينتظر انتهاء الاجتماع، **ولتعطش "مصطفى زهران" لآخر التفاصيل وقف ينهى الاجتماع قائلاً:**

- نكمل فيما بعد.

نظر الرجلان إلى بعضهما باستياء ورد الشخص الواقف يمين "مصطفى زهران":

- سوف نقوم بالاتصال بك في وقت لاحق لنكمل باقي الصفقة.

خرج الرجلان وهما ينظران إلى المحامي باستياء لإنهاء الاجتماع، وقف "مصطفى زهران" وعيناه قبل لسانه تسألان فأجابه:

- للأسف!.

جالساً ساقطاً على كرسيه "مصطفى زهران" وكأنما سقط من ارتفاع على كرسيه، تحرك المحامي نحوه وهو شبه يكلم نفسه "مصطفى زهران":

- القضية إن انتقلت لمحكمة بهذا الوضع سوف يضيع ابني.. لكن لا!.

برقت عيناه بالشر وكأنما يحدث شيطان نفسه:

- القضية لن تصل للمحكمة إلا في حالة واحدة.

جلس المحامي يسأله:

- ماذا تنوى فعله ؟

نظر له بعينيه اللتين تحولتا لشيطان قائلاً:

- انتهى وقت الاختيار !.

وما كان ينويه بدأت ملامحه تظهر على هذا الطريق الذي يغطيه الليل ويكسو الظلام ملامح القمر الكاتمة .

يسير "أحمد" بسيارته عائداً إلى البيت والقلق على وجهه مثل الظلام يحوم عليه من تأخير زوجته عند الطبيب، لا يوجد له إضاءة تجعله يسير في هذا القلق الشديد، يعاود الاتصال بالمنزل تخبره الخادمة مثل كل مرة أنها لم تعد، يعيد الاتصال بزوجته على هاتفها المحمول يجده غير متاح، يزيد من سرعة السيارة لكن في لحظه تعترض طريقه سيارة دفع رباعي تحجزه على جانب الطريق. خرج منها ثلاثة رجال، دخل أحدهم على "أحمد" **يحدثه بلطف وهو يظهر له مسدسه من تحت المعطف:**

- ممكن تتفضل تأتي معنا.

فتح له باب السيارة فخرج مسلماً وعلى وجهه علامات الاندهاش:

- ماذا تريدون!.

أجابه هذا الرجل:

- ستفهم كل شيء فيما بعد.

اتجه "أحمد" نحو السيارة وكأنه يهدده:

- أنت تعلم من أنا

أجابه الرجل بسخرية:

- لسنا بقطاع طرق نستوقف أي أحد.. تفضل اصعد السيارة الأمر لن يستغرق أكثر من نصف ساعة.

فتح له باب السيارة وأشار إلي أحد رجاله بأن يأتوا خلفه بالسيارة .

صعد "أحمد" السيارة وحاول معاودة الاتصال بزوجته لكن الرجل رفض أي اتصال استسلم "أحمد" وبعد دقائق قليلة وجد نفسه داخل مزرعة، وقفت السيارة أمام حظيرة خيل يجرى بداخلها حصان أبيض. واقف يشاهد "مصطفى زهران" وبجانبه المحامي وبعض حرسه الشخصي.

خرج "أحمد" من السيارة وذهب يقف بجانب "مصطفى زهران" يشاهد معه الحصان قائلاً:

- أنت لم تسأل المحامي الذي يقف بجانبك ما عقوبة خطف وكيل النائب العام !.

استمر "مصطفى زهران" في اختلاس نظرات للحصان:

- لا أظن أن شيكاً بالمبلغ الذي تريده عقوبة!.

ضحك "أحمد" وكأنه سمع مزحة أدار رأسه "مصطفي زهران"، وأخرج من جيبه الشيك قائلاً:

- تفضل ضع الرقم الذي تريده.

كف عن الضحك "أحمد" واقترب من وجه "مصطفي زهران":

- كل الذي أريده هو تنفيذ القانون وشرع الله.. أما أنت سوف التمس العذر لك.. وأنسى ما حدث هذه الليلة.

اكتفى "مصطفي زهران" بابتسامة باهتة، وتركه "أحمد" وذهب نحو سيارته. **رن هاتفه بنغمه زوجته فوقف يرد علي زوجته بلهفة:**

- أين أنتِ؟

فكانت الصدمة عندما أجابه "مصطفي زهران" من هاتف زوجته:

- أظن أن الرسالة وصلت الآن.

انقض عليه "أحمد" كالعاصفة يقبض علي رقبته وضغط بقوة يسأل عن زوجته، نفض "مصطفي زهران" يده عن رقبته قائلاً:

- في أمان يا "أحمد" بيه.

صفعه "أحمد" على وجهه:

- أين هي؟.

حاول أن يتدخل الحرس الشخصي لكن لوح لهم "مصطفى زهران" أن يبقوا بأماكنهم وبلغه الأب اقترب "مصطفي زهران":

- لم يعد لي غيره بعدما مات شقيقه الأكبر.. وليس عندي أي استعداد أن أخسر ابني الآخر.. حتى لو كلفني الأمر حياتي وحياة غيري.

"أحمد" صائحاً في وجهه:

- وما ذنب زوجتي؟

نظر "مصطفي زهران" إلى الحصان الذي يذكره بابنه قائلاً:

- إنها زوجة الرجل الذي أصبح عمر ابني بين يديه.

نزل "أحمد المسلم" من حصان العصبية إلى وحل الذل:

- هي تحتاج لرعاية مستمرة.

وضع "مصطفى زهران" يده على كتف أحمد:

- لقد وفرت الرعاية الكاملة لزوجتك من أطباء وممرضين .. "أحمد" بيه أنا لا أريد أن يتأذى أحد، كل ما أطلبه تغييرات بسيطة في مسار القضية تبعد "بدر" عن حكم الإعدام.

أغمض أحمد عينيه وكأنه لا يصدق ما رماه فيه القدر.

- اللعبة أصبحت حياة مقابل حياة

بكل انكسار سأله:

- والمسكينة التي راحت ضحية ابنك

أجابه:

- سأقوم بدفع ديتها لأهلها وأكثر مما حددته الشريعة.

نظر "أحمد" على هاتف زوجته الذي لازال معلقاً في يد "مصطفي زهران"، وعيناه تشتاق لصاحبته قائلاً:

- أريد الاطمئنان عليها

نظر "مصطفى" إلى "المحامي" وكأنما يستشيره، فهز رأسه بالموافقة، فأشار "مصطفي زهران" إلى مدير أعماله فيقوم له بالاتصال، **وأعطى الهاتف إلى "أحمد" الذي أخذه بلهفه يتحدث:**

- أنتِ بخير؟.

ما لا يتوقعه كان من صوت هادئ ومبتسم وكأنها في المنزل:

- "أحمد" أنا بخير ومعي هنا رعاية صحية كاملة.. لا تقلق وتخف.

اندهش "أحمد":

- لا أقلق !

قالت بصوت موجوع:

- لم يعد يفرق شيء .. وصدقني يا "أحمد" هذا أفضل لنا.

أنهت المكالمة برغبتها دون الضغط عليها، فانفجر "أحمد" كالبركان في كلمة

- آلو .. آلو.

أخذ مدير أعمال "مصطفى زهران" الهاتف بقوة من يد "أحمد"، وبعُد "مصطفى زهران" خطوة للوراء، ارتكن على سور الحظيرة، ونظر بنصف وجه للحصان. **اقترب منه "أحمد" كمثل موج البحر الهادئ الذي سلم نفسه لريح توصله للبر منتظراً الأمر . فأجابه "مصطفي":**

- سوف تجلس مرة أخرى مع المستشار "كمال" لوضع بعض الثغرات التي تخرج "بدر" من القضية .

وضع "أحمد المسلم" يده على وجهه وكأنما يمسح أثر الصدمة يسأل عن زوجته، أعاد له النظر "مصطفي زهران":

- مدام "نهى" ضيفتي إلى أن تنفذ ما أطلبه .. ولا تقلق عليها ولا على مالك أيضاً.. وأظن لا أحد منا يريد الخسارة.

أشار إلى مدير أعماله أن يعيد إلى "أحمد" مفتاح سيارته، وتركه "مصطفى زهران" فحل مكانه المحامي أخذ المفتاح بدلاً منه، **وشبك ذراعه في ذراع "أحمد" واتجه نحو السيارة قائلاً:**

- دائما لا نختار ما نتمناه .. كنت في يوم من الأيام في مثل موقفك هذا لكن كان معي ابني الوحيد وزوجته وأولاده الاثنان .. كانوا رهائن في **لندن** وهذا ما اضطرني إلى ما فعلته .. هذه هي الصورة الحقيقية.. لكن الفرق بينا أنك أمام وحش واحد فقط .. لكن أنا كنت في غابة تجري لها قوانين خاصة .

اقتربا من السيارة فأعطى المحامي المفتاح إلى "أحمد" في مواجهة سؤال من "أحمد":

- هذه نصيحة أم تهديد !

ابتسم "المحامي" ونظر في عينيه قائلاً:

- عندما كنت مكانك في هذا الموقف لم أر فرقاً بينهما .. لأن النتيجة في النهاية متشابهة .. لا تقلق على زوجتك هو خائف أكثر منك على ابنه.

تركه المحامي ولم يبق أمام "أحمد" إلا أن يصعد لسيارته وهو لا يعرف إلى أين يذهب وماذا يفعل؟!

****

- 4 -

في بداية الصباح داخل مكتبه جالساً "أحمد" على فوتيه الضيوف بحالة سيئة، فاتحاً نصف أزرار القميص وأمامه على الطاولة الزجاجية ملف قضية "بدر" .

دخل العسكري مباشرة المكتب دون إذن فيفاجأ بوجود "أحمد" يقف في مكانه قائلاً:

- أنا لم أكن أعلم أن سيادتك هنا.

لوح له "أحمد" بالانصراف وبعد خروجه يفرك "أحمد" في عينيه ويعاود القراءة في الملف والخوف يسيطر عليه من كلمة المحامي التي تتكرر في أذنيه

- هذه هي الصورة الحقيقية .

قائماً من مكانه يمشط بخطواته المكتب وصورة القتيلة أمام عينيه . ثم يقف ينظر إلى صورة زوجته وكأنه يراها في هذا الوضع بجانب القتيلة ودمعة عينيه تكاد تخرج من عالم الأحزان إلى عالم الدنيا. **يسمع صوت تهديد "مصطفي زهران" يرج أنحاء جسده:**

- اللعبة أصبحت حياة مقابل حياة.

طرد هذا الوسواس الذي لا يتحمل تخيله، وخرج من المكتب مسرعاً إلى الطرقة، يقابله رجال الشرطة يلقون عليه السلام، ولكنه من عتمة الأحزان لا يرى منها أحداً أو يسمع شيئاً.

دخل مكتب رئيس المباحث الضابط أكرم، لكن لا يجده، وقف لثوانٍ يمشط بيده على رأسه وخرج عائدا إلى مكتبه طلب حضور "بدر" لمكتبه على الفور .

واستمر جالساً في مكتبه يمنع دخول أي قضية عليه. أتى عليه العسكري يستأذن لدخول الضابط "أكرم"، **فينهض من على مكتبه وكأنه وجد طوق النجاة. يستقبل الضابط "أكرم" الذي يسأله مباشرة:**

- ماذا حدث لزوجتك يا "أحمد" بيه؟

جلس "أحمد" أمامه على كرسي المكتب، وحكي له الكابوس الذي مر به الليلة الماضية وكأنما "أكرم" مفسر أحلام يطلب منه الكتمان وكأنما كي لا تتحقق رؤياه **قائلاً:**

- أن شاء سوف تعود لك مدام "نهي".

وضع "أحمد" كوعه على المكتب يسند رأسه الثقيلة التي تكاد تسقط من كثرة التفكير قائلا:

- خائف أبيع ضميري وخائف أكثر علي "نهى" .. ماذا أفعل!.

قرع الباب ودخل العسكري يخبره بوجود المتهم "بدر" في الخارج، فأمره "أحمد المسلم" بالانتظار قليلاً حتى يسمح له بالدخول، فاستأذن "أكرم" من "أحمد" بحضور التحقيق ربما يصل لشيء. هز "أحمد" رأسه بالموافقة وقام "أكرم" بفتح الباب وأخذ "بدر" من يد أمين الشرطة ونزع من يده الأصفاد وأغلق الباب، **عاد "أكرم" لمكانه يدخن سيجارة وقف "بدر" أمام "أحمد". سأله:**

- ماذا فعل معك أبي؟

اندهش "أحمد" و"أكرم" فقام "بدر" بالرد:

- لا داعي للاندهاش.. أبي ممكن يفعل أي شيء مقابل خروجي من هنا .. وبعد ما أصبحت القضية بين يد حضرتك أكيد عرض عليك الرشوة .

وانتظر "بدر" منه إجابة فقام "أحمد" من مكانه يقف أمامه وأجابه:

- خطف زوجتي ليساومني على خروجك.

ابتسم "بدر" ساخرا:

- لديه استعداد لفعل أي شيء.

سأله "أحمد":

- عليك أن تسعد بما يفعله والدك مقابل حريتك.

بادله "بدر" بابتسامة يسخر بها من حياته قائلا:

- ربما فيما سبق كنت أهتم بالحياة .. لكن الآن لا ! ممكن أتحدث.

عاد "أحمد" جالساً على كرسيه:

- اجلس يا "بدر" وتحدث.

جلس "بدر" في وجه الضابط "أكرم" وضع رأسه في الأرض قائلاً:

- "آمال" لم تكن عشيقتي كما جاء في التحقيقات .. لقد تزوجنا بعقد رسمي .

ظهر على وجه "أحمد" و"أكرم" علامات الاندهاش، ينظران إلى بعضهما وكأنهما في حالة ذهول، ويكمل "بدر" حديثه دون مقاطعة:

- لا أحد يعلم بسر زواجنا حتى أهلها لا أحد كان يعلم به .. كنت خائفاً بشدة من أبي وعلى "آمال" منه .. "آمال" وأمثالها ليس مسموحاً لي بالزواج منهن .. إلي أن قابلتها في المجموعة .. كانت فتاة غريبة ولا أعرف لمَ كنت مهتماً بها .

وبرغم عتمة الأحزان إلى أنه رسم على وجهه ابتسامة من شعوره بإحساسه:

- كل يوم يمر وأنا أزداد حنيناً لرؤيتها وحيرة وكأنها لغز أريد تفسيره ..وخاصة أنني أصبحت متواجداً في المجموعة باستمرار وهذا أمر لم يكن من عادتي .. لم أستطع أن أمنع نفسي من حبها برغم أنني دائما أرى الحاجز الذي فرضه أبي .

وظهر على وجهه التعجب ثم تابع!

- لكن قلبي ليس بيدي .. كل شيء منها كان يناديني حتى في سكوتها كنت أسمع نبض قلبها وأرى أحلامها .. وكان غصباً عن إرادتي ينكسر الحاجز الذي فرضه أبي .. لا أستطيع أن أقاوم بحر عشقها .. أو كان في مقدوري أن أمنع إحساسي يسبح في ملكوتها . وكان للحب شكل آخر عندما بادلتني مشاعرها وكان الحب بينا حياة تتغير حلاوتها كل لحظة .

سكت للحظة وعاد وجهه يتألم بما يشعر قائلاً:

- في البداية عرضت عليها الزواج العرفي لكنها رفضت بشدة وطلبت الانفصال .. لكن وأنا كنت لا أتحمل بعدها دقائق عني .. تزوجنا رسمياً لكن يبقي خبر زواجنا سراً .. لكن مقابلتي الكثيرة لها في الشركة لفتت نظر أبي لعلاقتي معها وأمرني أن أبعد عنها .. وعرض عليَّ أن يزوجني!.

بعد ابتسامة سخرية أكمل حديثه:

- وترك لي مطلق الحرية في اختيار الزوجة لكن ! التي تناسب فقط مكانة ووضع "مصطفى زهران" .. لكن واجهته أنني أريد الزواج من "آمال" . واحتملت جرحه في إهانة سيرتها أمامي وأنا لا أستطيع أن أفعل شيئاً. هو السبب الذي دفعني لقتلها .. لعب معي أرخص لعبة تجعلني أبعد عنها دون أن أندم .. أن يرخصها في عيني بأقذر الطرق .. ليجعلني ألعن حبها وأصدق كلامه أن أمثال "آمال"!.

فسكت متأثراً من قبح الوصف الذي يحمله ثم أكمل:

- أدخل زميل لها في الشركة حياتها يشاركها كل الأعمال ..كان في كل شيء معها يصاحبها وكأنه أصبح ظلها .

أشعل "أكرم" سيجارة وضع علبة السجائر والقداحة على المكتب . قام "أحمد" من مكانه يقف بين "أكرم" و"بدر"، أخذ سيجارة من علبة السجائر أعطاها إلى "بدر" وقام بإشعالها له، **وقف "أحمد" بجانب كرسي "أكرم" يسمع "بدر" الذي توقف لثواني يخرج الدخان من بين شفتيه:**

- أتقن الحيلة التي جعلتني أصدق علاقتهما ولم يكن يعلم أنه يلعب بكرامتي .. أنه يصور لي خيانة زوجة وليست عشيقة !

عقد "أحمد" ذراعيه حول صدره ثم سأله:

- وكيف علمت الحقيقة ؟

استمر "بدر" في النظر إلى الأرض وكأنه يعد الدموع التي تسقط من عينيه وأجاب:

- وأنا بخنق عنقها بهاتين اليدين .. صرخت وقالت لي إن والدك هو الذي هددني أن أمثل عليك علاقتي مع "إيهاب" .. وإحساسي بالخيانة يدفعني بضربها والاستمرار في الضغط على عنقها .. وهي مازالت تقسم أن أبي هددها ليدمرها ويدمر أهلها .. حتى أنه طلب منها في بادئ الأمر أن أسلم لك جسدي بسهولة لتمل مني .. ولا يعلم أنني زوجتك .

نظر إليهما "بدر" وكأنه يجيب عنها:

- لازم كانت تخاف منه .. حتى المال الذي كانت تسحبه مني الفترة الأخيرة .. كان بأمر أبي كي تظهر استغلالها لي والمال الذي أخذته كله منك كما هو في درج المكتب.. وأنا لا أصدقها أصدق الصورة التي صورها أبي .. ومستمر في خنقها إلي أن تركتها جثة هامدة .

سأله "أحمد" وهو في وضع وقوفه:

- هل هذا المال الذي كان بجانبك ليلة الجريمة؟.

هز "بدر" رأسه بالإجابة:

- وجدته كما قالت.. أنا كرهت الدنيا وكل شيء.. ما ذنبها أن تكون ضحية! أحلامها كانت بسيطة.. ليه ! وما ذنبي أنا أن ولدى هو مصطفي زهران!.

اقترب "أحمد" منه وربت على كتفه وعاد جلس على كرسي مكتبه:

- اعترافك الجديد ممكن أن يغير موقفك في القضية.

نظر له "بدر" قائلا:

- كل ما أتمناه أن تحذف من التحقيقات كلمة عشيقة.. لأن من قتلتها هي زوجتي وتبلغ أهلها بخبر زواجنا.. أجعلهم يحترمونها بعد وفاتها .. أنا الآن لم أعد خائفاً من أبي .

رجع "أحمد" رأسه على ظهر الكرسي قائلاً:

- لكن أنا سوف أحتاج لعقد الزواج.

انتهى "بدر" من السيجارة وقام بنصفه الأمامي يضعها في منفضة السجائر، وجلس وهو يجيب:

- العقد موجود دخل أدراج مكتبي بالشقة التي تمت بها الجريمة.

انتبه "أكرم" له ويهدأ بعد ما سمع باقي حديثه:

- لكن لم تهن عليَّ نفسي.

وجد "أحمد" أن "بدر" قد انتهى من كلامه . سأله:

- تريد قول شيء آخر؟

نظر إليه "بدر" وكأنما كل ما فيه وهو الذي يتحدث عنه والرجاء في ملامح وجهه كالمسكين:

- أوعدني أنك ستبلغ أهلها خبر زواجنا وبنفسك.. هذا الأمر سوف يفرق معهم كثيراً وخاصة منك أنت.. هؤلاء ليس عندهم شيء أغلى من كرامتهم.

أخذ نفساً عميقاً وعاد مستجيباً:

- أعدك

فقام "بدر" وهو يشكره بابتسامة معتمة، ضرب "أحمد" الجرس دخل أمين الشرطة وضع الأصفاد في يد "بدر" ثم نظر إلى "أحمد" قائلاً:

- بعد كل ما فعله أبي معي لم أستطع كرهه.. أنا لم أكره في حياتي إلا أنا .. وربما أستطيع مسامحته !

أتى كي يخرج "بدر" في يد أمين الشرطة. نادي عليه "أحمد":

- "بدر"، زوجتي أين تكون محتجزة؟.

التفت "بدر" وهو يبحث عن عقل والده وكأنما وجد شيئاً:

- ربما تجدها داخل شاليه العين السخنة وأعدك سينتهي هذا الأمر قريباً.

لوح "أحمد" برأسه إلى أمين الشرطة ليأخذه ويخرجا، فنظر "أحمد" بكل لهفة إلى "أكرم":

- ماذا تنتظر؟

وقف "أكرم" قائلا:

- لقد صدقته ! تعلم ما سوف يحدث إن لم نجدها هناك

اقترب منه "أحمد" بنبرة صوت قوية:

- أقوال "بدر" الجديدة ستدعم موقفه في القضية.. وأنا غير مستعد أن أخسر ضميري .. أتصرف يا حضرة الضابط.

خرج "أكرم" من مكتبه واستمر "أحمد" في مكتبه جالساً بجانب الهاتف لأكثر من ساعة ينتظر مكالمة من الشرطة، تخبره فيها عن زوجته .

دخل عليه زميله وصديق عمره وكيل النائب العام "حسن"، سأله:

- لا يوجد خبر جديد عن "نهي".

أجابه "أحمد" وكأن جسده كله يحرقه نار الانتظار:

- لازلت أنتظر مكالمة من الشرطة أو "أكرم".

جلس "حسن" أمامه يضرب بقدمه الأرض من التوتر وقبل أن يشعل سيجارة يأتي "أكرم" بوجه عبوس حامل الأسف:

- أظن أن "مصطفي زهران" الآن قد أخذ خبراً باقتحام الشرطة الشاليه، أعتقد أنه قام باختبارك بابنه "بدر".. كان لا داعي أن تصدق كلامه.

ظل "أحمد" لثوانٍ ينظر حوله كالمجروح وكأنه يبحث عن شيء، يرد على نفسه قبل "أكرم":

- كانت هذه أكثر لحظة كان فيها "بدر" صادقاً مع نفسه.

دخل العسكري في هذه اللحظة مفزوعاً إلى المكتب قائلاً:

- "أحمد" بيه المتهم بجريمة القتل انتحر.

اتسعت العيون من الصدمة وخرج "أحمد" من المكتب الذي يكاد يطير من على الأرض وبقي "أكرم" و"حسن" في حالة صدمة من الخبر وخرجا مسرعين خلف "أحمد" إلى الزنزانة يقومان بدفع أي شخص يقف في طريقهما .

وصل "أحمد" أمام الزنزانة ورجال الشرطة أمامهم يفسحون له الطريق ويلقون عليه التحية، دخل ورأي "بدر" مُلقى على الأرض قاطعاً شريان يده ودمه يغطي الأرض .

أتى "أكرم" وخلفه "حسن" يقفان على باب الزنزانة يأخذان أنفاسهما يشاهدان هذا المشهد، نزل "أحمد" على الأرض يفحص نبض "بدر" والقلق على وجه كرعشة يده على عنق "بدر"، أغمض جفونه بعد ما علم نتيجة الفحص، **نهض من على الأرض نظر إليهم بذهول:**

- مات "بدر"

رجع "أكرم" خطوة للوراء من قوة الخبر ضرب "أحمد" بيده ظهر الحائط وكأنه لا يصدق ما وصل إليه الآن. خرج من الزنزانة موجهاً حديثة لكل من يقف:

- كلكم محولون للتحقيق.

يسير إلى مكتبه وبجانبه "حسن" ويلحق بهم "أكرم" يسير بجانب "أحمد"، فيقف "حسن" بعد ما وجد الحل قائلاً:

- لا أحد يعلن خبر وفاة "بدر" إلى أن نجد "نهى".

"أكرم" باندهاش:

- مستحيل !

"حسن":

- والوقت ليس في صالحنا علينا أن نجد مكان اختباء "نهى".

لكن الليل يأتي مسرعاً وكل فريق البحث مازالوا يبحثون عن الإبرة في المحيط، تداهم الشرطة كل مكان يخص "مصطفي زهران"، وخبر وفاة "بدر" منذ مهده وهو عند "مصطفي زهران" في فيلاته، الضوء حولها خافت يعبر عن الحزن داخلها وبالأخص داخل غرفة نوم "مصطفي زهران" الذي يبحر في دموعه . دخل عليه الغرفة "المحامي" يجده جالساً على كرسي هزاز وكأنما يتأرجح بهمة ويرجع بحزنه. **اقترب بهدوء حاملاً باقي التفاصيل:**

- انتحر بعد خروجه من مكتب "أحمد المسلم".

نظر اليه "مصطفي زهران" بطرف عينيه الحزينة قائلا:

- "بدر" قُتل بعد خروجه من مكتب "أحمد المسلم".

اقترب منه أكثر المحامي:

- "بدر" لم يُقتل .. "بدر" انتحر.

تعجب "مصطفي زهران" وكأنه يبحث عن "بدر" بين أسوار الحياة:

- مستحيل ينتحر وهو كان يعشق الحياة ! لا يا "كمال" "بدر" مات لأن "أحمد المسلم" يريده ميتاً .. ذكاؤه صور له أن يموت "بدر" القضية انتهت وزوجته أصبحت حرة ..

وخرج من عينيه بريق الانتقام الذي يخشاه المحامي قائلا:

- دعنا الآن من هذا الحديث وعلينا التفرغ للدفن والعزاء.

ضغط "مصطفي زهران" بكل قوته على كف يده قائلاً:

- ليس قبل أن أفي بوعدي.

حاول المحامي إفاقته من صحوة شيطانه وصاح بصوت غير مسبوق يكلمه به:

- "بدر" انتحر ولم يُقتل.

قام "مصطفي زهران" من مكانه دفع من أمامه المحامي وكأنما يبعد عنه أي حاجز يمنعه من الانتقام، اقترب المحامي منه وبصوت دافئ:

- أنا مدرك تماماً ما تمر به والنار التي تحرق قلبك على ابنك.

أجابه "مصطفي زهران" بصوت الشيطان الذي يجرى بداخله:

- النار سوف تحرق الجميع.

اعترضه المحامي:

- لا نريد فتح أبواب جهنم أمامنا.

من همه ابتسم "مصطفي زهران" ثم عاد النظر له مندهشاً:

- أبواب جهنم لم تخلق إلا لنا!.

حاول أن يناقشه المحامي فصده "مصطفي زهران" بفتح باب الغرفة وبصمت تتحدث به عيناه يطرده خارج الغرفة، **أخذ المحامي نفسه وخرج لكن وقف بعد أن وضع يده على المقبض التفت بنصف وجهه:**

- يوجد أحد يلعب بك .. "أحمد المسلم" كان أكثر منك حرصاً على حياة "بدر ".

فخرج المحامي من الغرفة وهو يستعيذ من الشيطان الذي سيطر على "مصطفي زهران" الذي يبقى معه يحركه، يواصل الدوران حول نفسه في الغرفة وفجأة كف عن الدوران، **جلس على السرير أخذ هاتفه يمسح في دموعه متحدثاً في الهاتف:**

- غداً في المساء يكون "أحمد المسلم" يقبل عزاء زوجته مثلي .. وأظن واضح الكلام ولا أعتقد أنك تحب أن أوكل هذه المهمة لغيرك .. لأن وقتها سيدفع الكل الثمن غالياً وأنا أولاً سأدفع هذا الثمن .. لم يعد لي شيء آخر أبكي عليه

أنهى المكالمة وطوح الهاتف من يده على الأرض وألقى بجسده على السرير.

******

- 5 -

بعد الساعة 2 صباحاً بجانب الطريق بجوار أرض زراعية تجمعت الشرطة في كل مكان وأضاءت الظلام مصابيح سيارات الشرطة، حول سيارة مركونة على جانب الطريق ودخلت سيارة الإسعاف بصوتها المفزع تصطف بجانب باقي السيارات، وعلى طول الطريق شرطة المرور تحول مسار السيارات القادمة.

أتت سيارة "أحمد المسلم" تصل إلى مكان الحادث وخرج مسرعاً قابله "أكرم" ومعه وكيل النائب العام "حسن"، نظر "أحمد" في أعينهما التي هربت من أمام عينيه، التفت بخوف تثاقل منه حركته على السيارة التي تشبه سيارة زوجته، لكنه يكذب عينيه، دفعهم من أمامه متجهاً إلى السيارة التي لا تكاد ترى من كثرة رجال الشرطة حولها، وأتى مدير الأمن وبعض القيادات الأمنية بسياراتهم والكل رفع السلاح تحيةً لهم .

اقترب "أحمد" من السيارة رأي جثة امرأة نائمة على المقود لا تظهر ملامحها، بعد أن كاد يسرع في خطواته يقترب ببطء، وضع يده عليها وهو يغمض عيناه في إرجاعها إلى الوراء ويفتح ببطء عينيه المعصوبتين من الخوف، وجدها جثة زوجته مقتولة برصاصة في منتصف جبهتها.

الكل حوله متأثر، حتى مدير الأمن الذي جاء من أجله، ربما أراد البكاء لكن لا تنزل على وجهه مثل السحاب المغيم يصمد واكتفي بالنظر

أتى يقف خلف "أحمد" وكيل النيابة "حسن"، ضم "أحمد" زوجته على صدره يبكى عليها فبعد أن ربت "حسن" على كتفه شده إليه، **ارتمى "أحمد" بحضنه يبكى على كتفه وفي عين "حسن" دموع يشاطرها مع "أحمد" الذي يشكو له:**

- ماذا فعلت لتقتل؟

شعر "حسن" أن "أحمد" ينسحب من بين يده، فوجده مغشياً عليه يقع على الأرض، سنده مستنجدا بـ"أكرم" الذي دفع بيده مدير الأمن ليلحق "أحمد" قبل سقوطه من "حسن"، **ساعده "أكرم" قبل سقوطه على الأرض وبقى بين يديهم مغشياً عليه فصاح مدير الأمن:**

- أين المسعفون؟

الذين أتوا على الفور يحملون "أحمد" داخل سيارة الإسعاف ثم يحلمون جثة زوجته لترقد بجانبه وكل منهم في عالم بعيد عن الحياة.

خلف سيارة الإسعاف وقف "حسن" ومدير الأمن و"أكرم" ينظرون إليهم والكل في هذه اللحظة لا يتحمل الموقف، فدفع "حسن" نفسه معهم في سيارة الإسعاف، **نظر له "أكرم" قبل أن يغلق المسعف باب السيارة:**

- أعلم أنكم أنتم الثلاثة زملاء دراسة وأصدقاء.

عين "حسن" على "أحمد" والجثة لا يلتفت لوجه "أكرم" قائلاً:

- لم نفترق أبداً ولسوء حظي تقتل "نهي" وأنا أكون المحقق عن مقتلها .. لم أتخيل أننا كنا نذاكر سوياً حتى تصبح "نهى" قضيتي!.

أجاب على أوجاعه مدير الأمن:

- البقاء لله يا بني.

تدور سيارة الإسعاف ويغلق المسعف الباب، تشغل السيارة صوتها المخيف، وكل رجال الشرطة يفسحون لها الطريق .

داخل السيارة جالساً "حسن" يتوسطهم، وأمامه الطبيب الذي يحاول إسعاف "أحمد". فلا يمنع "حسن" حزنه بغسل وجع قلبه بدموعه وهو

يتأملهم. يقطف الذكريات ولقطات من أيام الجامعة والبكاء يزداد مثل غزير الأمطار يغرق قميصه، يبقى معهم "حسن" في المستشفى و"أحمد" غارق في النوم وفي يده المحاليل، جالساً أمامه على الكرسي "حسن" لكن نائماً .

بدأ يفيق "أحمد" وهو يكاد يستغرب الحال، نظر أمامه رأي "حسن" نائماً وكأنما تذكر سبب وجوده ينظر على المحاليل التي في يده فيمزق تقييدها له ويأتي ليقوم يشعر به "حسن" مستيقظاً **فيقوم من على الكرسي يمنع "أحمد" من القيام ويعيد رأسه على الوسادة قائلاً:**

- لابد أن ترتاح.

ويبقى "حسن" أمامه منحنياً يمنع نزيف الدم من يده ويضغط على زر النداء على الأطباء.

يسأله "أحمد المسلم" بعينيه المذهولتين:

- أنا في حلم و"نهى" لم تقتل.. أنا ذاهب لها.

منعه "حسن" من محاولة القيام قاومه "أحمد" وصاح بكل قوته:

- أرجوك أتركني "نهى" في المنزل تنتظرني وسوف تقلق عليَّ.

قرع بقوة الجرس "حسن" قائلاً:

- أهدأ يا "أحمد".

دخل الطبيب ومعه الممرضة رأي وضع "أحمد" المنهار والدماء التي تنهمر من يده، قاما بحقنة في شريان يده وقاما بإعادة وضع المحلول في ذراعه. وبدأ يستجيب "أحمد" للحقنة ودخل في النوم وخرج الطبيب ومن بعده الممرضة.

سحب "حسن" الكرسي واقترب من "أحمد" جالساً بجانب رأسه يمسك كف يده قائلاً:

- لعله كان حلماً لكنه ليس ذلك.. إنه أصعب كابوس مستحيل تتخيله.

في الصباح يمتلئ المستشفي بكبار رجال القضاء والشرطة أمام الغرفة يتبادلون الحديث حول القضية التي يتفقون ضرورة إخفاء تفاصيل الحدث عن الصحافة والإعلام كي لا يثير الرأي العام وإعاقة البحث الجنائي وعمله تحت ضغط .

وبصفة "حسن" وكيل النائب العام والمسئول عن التحقيق، تحدث بصوت عالٍ لا يراعى فيه أحد متهكماً على هذه المبررات:

- القاتل معلوم وسوف أصدر أمراً بالقبض عليه .. أم سوف ننتظر هروبه خارج البلد بالسلامة.

نظر إليه المحامي العام سأله:

- "حسن"! هل عندك دليل؟.

اقترب منه المحامي العام ملتمساً مشاعره تجاه صاحبه .. يجيب على نفسه المحامي العام:

- لا يا "حسن" .. عليك التصرف بحكمة .. وقد أمر النائب العام بمنع النشر في الصحافة ووسائل الإعلام لصالح القضية.. وياريت تنسي مشاعرك تجاه صاحبك وتعمل على القضية بصفتك وكيل النائب العام.. لقد ظهر بعض المستجدات في القضية سوف تتطلع عليها فيما بعد.. لا تجعلني أبعدك عن القضية.. جميعنا متأثر بالحادثة وأمر بسرعة إجراءات الدفن.

ونظر المحامي العام إلى الطبيب يسأله عن حالة "أحمد" أجابه الطبيب:

- إنه بحالة لا يرثي لها وأخشى أن تتسبب له في انهيار عصبي

ونظر الطبيب في ساعة يده قائلاً:

- أظن أنه سيفيق الآن

تركهم "حسن" يدخل الغرفة فيجد "أحمد" مرتدياً بذلته، جالساً على السرير يرتدى حذاءه، ودخل الكل بعد "حسن"، **فنظر إليهم "أحمد" وهو مستوعب الموقف قائلاً:**

- لن أقبل العزاء إلا بعد أن يقدم القاتل للمحكمة والحكم عليه.

ونظر إلى "حسن":

- عجل بإجراءات الدفن يا "حسن".

جلس أمامه المحامي العام، سأله:

- أنت بخير.

قام "أحمد" من فوق السرير ثم أجاب:

- لا يهم

*****

- 6 -

داخل فيلا "مصطفي زهران" جالس على نفس الكرسي الهزاز في غرفته صامتاً عليه علامات الحزن دليل الحال، **أمامه المحامي يكلمه:**

- منذ أكثر من ثلاثة أيام وأنت على هذا رافضاً الأكل والحديث مع أحد الحزن والعزلة مستحيل تعيد "بدر".. تعال أشغل همك وحزنك بين عملك.

تنهد بشدة قائلا:

- أعمل لمن! انتهى كل شيء بعد رحيل "قمر" و"بدر" لمن كل هذا؟

جلس المحامي قائلاً:

- "كريم" حفيدك ابن ولدك "قمر".

هز "مصطفي زهران" رأسه مقتنعاً وتابع المحامي حديثه:

- سننتظرك غداً في المجموعة العمل واقف عليك.

وقف "مصطفي زهران" ثم اتجه نحو الشرفة:

- ليس قبل أن أنتقم من "أحمد" وأقوم برميه في الشارع يتوجع على زوجته وابنه ووظيفته.

قام المحامي يقف خلفه:

- لمتى سنمضي خلف "أحمد المسلم"؟

جزَّ على فك أسنانه والتفت إليه "مصطفي زهران":

- لازلت لم أنته منه بعد.

كالذي طفح به الكيل وكأنما وجه له اتهاماً قائلاً:

- لقد تم استدعاؤك من قبل النيابة العامة دعنا نعالج الأمر بحكمة .. الوضع أصبح مختلفاً ولم يعد يمس أحمد المسلم شخصياً ولكنه الهيئة القضائية عامة.

وكأنه يحدث في نفسه وعقل "مصطفي زهران" تدور فيه ساقية الشر لقد سبح في عالم الانتقام.

أمام باب شقة "أحمد المسلم"، عاد لأول مرة الشقة بعد وفاة زوجته، وقف أمام باب الشقة أمام عينيه اسمه ومهنته معلقاً على الباب وكأنها مرآة يرى فيها السخرية، بجانبه "حسن" واقفاً منتظراً فأخرج "أحمد" المفتاح وبقي متردداً في فتح الباب، وعين "حسن" عليه تارة وإلى المفتاح تارة وعلى رعشة يده التي لا تقدر على فتح الباب، **حاول "حسن" أن يرحمه من كل هذا قائلا:**

- ما رأيك أن تأتي معي وهذا أمر من "هبة" ... أظن أنك لا ترضي أن ينام صاحبك في الشارع بسببك.

وابتسم "حسن" على أمل أن يبتسم "أحمد" لكنه حتى لم يُظهر أسنانه . اكتفي قائلاً:

- لن أرتاح إلا هنا.

وضع المفتاح وضغط على نفسه وفتح الباب وكأنه فتح كتباً من الذكريات، دخل كالغريب الذي يبحث عن شيء وسط الزحام وخلفه "حسن" يشعر به، بكل خطوة يخطوها "أحمد" متخوفاً من الحاضر، الذي أصبح ماضياً والقادم الذي صار ذكريات والأيام التي جف منها القلم، أصبحت الدموع النقاش بين الماضي والحاضر.

اقترب "حسن" وسأله بعد أن وضع يده فوق كتفه:

- أنت متأكد؟

أرجع "أحمد" رأسه قائلاً:

- أريد الإطلاع على ملف التحقيقات الخاص ...

وينطق اسم زوجته وكأنه أصيب بذبحة صدرية من ألم الحزن ويبتلع ريقه:

- بـ"نهى" وتقرير الطب الشرعي!

ربت "حسن" على كتفه:

- الوقت ليس مناسباً الآن لهذا عليك أنت ترتاح وأنا.

ففتح باب الألم وصحوته وكأنما إعصار من تيار الجرح نزف قائلاً:

- أرتاح! من أين الراحة! انظر حولك ونادى على "نهى".

ونادى عليها "أحمد" في كل مكان ثم وقف يتساءل:

- أين هي ! لمَ لا ترد ! ربما تكون خرجت وسوف تعود بعد قليل أين "نهى" يا "حسن"! "نهى" مقتولة وبسببي.. أنا السبب في قتلها.. طوال الوقت وهى دائما في قلق عليَّ بسبب عملي ولم أكن أتخيل أنها تضيع مني وبسبب عملي.. "نهى" رحلت قبل أن أودعها، ليتنى مت ولم أعش للحظة ليست فيها.

جالساً على الكنبة ثم تابع:

- لو تسألني عن الراحة أعطني زماناً غير هذا وأبدلني الأيام والليالي بغيرهما .. حياة لم أعشها من قبل في أي دنيا .. لم يكن لي فيها ماضٍ أو حاضر .. وإن لم أنس من أنا فلا تسألني عن الراحة.

انقض عليه "حسن" قائلاً:

- لا يا أحمد لم تكن أنت السبب ولو كنت بعت ضميرك كنت ستمنحها عمراً جديداً! هذا هو عمرها المقدر لها أنت مؤمن بقضاء الله العمر لم يستطع أن ينقصه إنسان ولا يوجد أحد على وجه هذا الكون يمنح إنساناً الحياة أو الموت.

ركع "حسن" على ركبتيه يستند بيده على قدم "أحمد" قائلاً:

- القاتل سوف ينال عقابه وأنا الذي أحقق في القضية ولا أنت أصبح عندك شك أيضاً في صاحبك؟

نهض "حسن" وكأنما تذكر شيئاً:

- أعلم أن هذا ليس وقته لكن.

قام "أحمد" واقفاً أمامه ليعرف ماذا يريد ؟ أخرج له "حسن" ظرفاً أصفر قائلاً:

- هذا الظرف فيه هاتف "نهى" ومفتاح سيارتها وأيضا سيارتك وهما تحت الجراج.

أخذ "أحمد" الظرف وهو يخرج منه الأشياء ونظر إلى الهاتف ومفتاح سيارة "نهى" قائلاً:

- لقد تعبت هذه الفترة معي.

قاطعه "حسن" قائلاً:

- لم ينقصك الآن إلا أن تشكرني وتمن عليَّ بما فعلته معك ! إن أردت شكري حقاً أرجع معي للبيت.

"أحمد":

- أعلم مدى قلقك أنت و"هبة" عليَّ .. لكن اتركني على راحتي.

"حسن":

- سنكون على اتصال.

"أحمد":

- لو ظهر جديد في القضية أبلغني على الفور به.

هزَّ "حسن" رأسه بالموافقة وبعد أن وصل للباب نادى عليه "أحمد":

- احترس من "مصطفى زهران".

ابتسم قائلاً:

- لا تقلق

خرج "حسن" وبقي "أحمد" في مكانه يخاف أن يأخذ خطوة أخرى كي لا يدخل إلى العمق. كالذي يعاقب نفسه جالساً على الكنبة، واحتضن هاتف "نهى" فارداً جسده على الكنبة وكأنما احتضن زوجته.

*****

- 6 -

على الكنبة منذ الليلة الماضية، نائماً "أحمد" وفوق صدره هاتف زوجته المحمول، على خده متبقية دمعة عين من الليلة الماضية، تبرق كالماس الذي استخرجه طوال الليل من أعماق كيانه، الذي يبقى منه بداخله آبار .

رن تليفون المنزل استيقظ مفزوعاً، أخذ نفساً عميقاً، يمد يده يسحب السماعة مجيباً:

- آلو أهلاً سيادة المستشار صباح الخير ..الحمد لله أنا بخير لا داعي للاعتذار أمهلني ساعة وسوف أكون في مكتبك.

وضع السماعة وحرك يده على رأسه ينعش عقله، نهض ليذهب إلى غرفة النوم، وضع يده على مقبض الباب. شعر بالألم عندما فكر بأن يفتح الباب ولا يرى زوجته، فصعبُ عليه أن يعيش الواقع الآن، يبعد يده عن المقبض يعود إلى مكانه السابق، يبقي حائراً ووقعت عيناه علي مفتاح سيارة زوجته وسيارته، فأخذ مفتاح سيارة زوجته وأخذ أيضاً هاتفها المحمول وترك أغراضه وخرج من الشقة نزل المآرب رأي سيارته بجانب سيارة زوجته، اقترب وهو يفتح سيارة زوجته بجهاز الفتح عن بعد، فتح الباب وصعد السيارة وكأنما يصعد درج سلالم طويلة فجلس يستريح، وضع المفتاح وتحسس بيده رائحتها على مكان يدها، مكان المقود وعلى ناقل السرعات، حاول أن يخفي صورتها الأخيرة في عينيه وهى مقتولة ويتذكر أيامها الأخرى، وكأنما تنسحب الروح من جسد الكافر، لا يستطيع يتألم من صعوبة الكذب على نفسه، **يُدير السيارة وهو يضغط على نفسه قائلاً:**

- أعنِّي يا إلهي.

يصل إلى مكتب المحامي العام الذي يجده جالساً معه رجل لا يعرفه، قام من مكانه المحامي العام يستقبله بكل الحب قائلاً:

- كيف حالك يا "أحمد"؟.

أجابه "أحمد" وهو يكاد لا يعرف حقيقة ما يقول:

- الحمد لله بخير.

قام أيضا الرجل يصافحه ويقدم عزاءه.

المحامي العام وهو يفرد يده:

- تفضلوا. أنا سألتك في الهاتف إن كنت مستعداً لبعض الأسئلة.

جالس "أحمد" وهو يجيب:

- أنا مستعد.

المحامي العام:

- في البداية أقدم لك المقدم "عماد الحسيني" وزارة الداخلية. ولو تسمح اسمح بدخول "مصطفي زهران".

وكأن هذا ما كان ينتظره "أحمد" يسمح بكل تأكيد، ضرب المحامي العام الجرس ودخل "مصطفي زهران" ونظرات الضابط "عماد الحسيني" لا تنقطع من على "أحمد"، طلب المحامي العام منه بالجلوس بجانب ضابط وزارة الداخلية "عماد الحسيني"، في مواجهة "أحمد". **نظر إليه "أحمد المسلم" كنظرة الأسد لفريسته وبدأ المحامي العام بالحديث:**

- أعلم بكل تأكيد أن هذا الوقت غير ملائم للحديث.. ولولا حساسية الموقف ما كنت استدعيتك هنا.. لكن رجل الأعمال "مصطفى شاهين زهران" كان قد تقدم ببلاغ للسيد النائب العام قبل الحادثة يدعي فيه أنك حاولت ابتزازه في قضية "بدر" ابنه وطلبت منه رشوة مالية.

وأكمل الحديث الضابط "عماد الحسيني":

- غير أنك أخفيت عن ملف التحقيقات زواج "بدر" بعقد رسمي من القتيلة .

أجاب "أحمد بذهول"، بعد سكوت "عماد الحسيني" بثلاث ثوانٍ كأنما لا يصدق نفسه حتى ابتسامة الهم لا يستطيع أن يرسمها على وجهه:

- ممكن تضيف أيضاً أنني غيرت مسار القضية من رد اعتبار لجريمة قتل.

"عماد الحسيني":

- من فضلك يا "أحمد بيه" لا تسخر من الأسئلة الموجهة لك.

المحامي العام بحدة يوجه لضابط وزارة الداخلية:

- أظن يا حضرة الضابط أنا هنا فقط من يتكلم . يا "أحمد" أنا قررت أتولى بنفسي ادعاءات "مصطفي زهران" كي أمنع أي حساسية.....

"أحمد" ساخراً:

- حساسية! أكيد لا داعي للإحراج .. ما هي الاتهامات لأنني لم أستمع جيداً لحضرة الضابط؟.

وجه الاتهامات المحامي العام وهو متلجلج:

- البلاغ المقدم ضدك أنك حاولت اللعب بأساليب القضية وبالأدلة المقدمة منك وأخفيت معالم مهمة وأركان حساسة في القضية كانت من الممكن أن تغير مسار القضية.

نظر "أحمد" إلى "مصطفى زهران":

- في النهاية صدر حكم على نفسه بالإعدام.

عين "عماد الحسيني" مثل الذئب عليهما تترقبهما، تمالك "مصطفى زهران" أعصابه.

المحامي العام:

- "أحمد" أنت طالبت برشوة مالية من السيد "مصطفي زهران".

أجاب "أحمد" باندهاش:

- ربما! تركت زوجتي عنده رهينة إلى أن يخرج ابنه بالسلامة.

يغير طبقة صوته:

- وزوجتي التي قتلت بماذا تفسر قتلها!.

"مصطفى زهران":

- لا أعلم شيئاً عن زوجته.

صائحاً في وجهه "أحمد":

- أنت تغلق فمك ولا تتحدث.

المحامي العام:

- اهدأ يا "أحمد" ومن فضلك يا سيد "مصطفي" الكلام هنا بإذن، يا "أحمد" أنت هنا لستُ متهماً لكنك تعلم القانون.

"أحمد" بصوت دافئ:

- أعلمه وأعلمه جيداً! والآن عرفته أكثر .. الوقت الذي كان المفروض يعطيني حقي أدانني القانون الذي وقفت أمثله جاء الآن يُدينني وبسبب هذا القانون أخذ مني أغلى ما عندي والآن يضيع حقي وحق زوجتي وابنى الذي انتظرته سنين.

قام "أحمد" سانداً بيده على المكتب بعد أن رفض الانكسار:

- لم أكن متخيلاً أنني هنا للاستجواب ولستُ مهتماً أن أسمع أي مبرر.. وحق زوجتي لن أتركه يضيع إذا كان بالقانون أو غيره.. لذلك استقالتي ستكون جاهزة على مكتب النائب العام.

تركهم "أحمد" وبعد خروجه نظر المحامي العام إلى نفسه أولاً مستاءً، ثم نظر إلى "مصطفى زهران" قائلاً:

- أنصحك بمغادرة البلد لو ثبت عكس ما قدمته لأن لا أحد هنا سوف يرحمك وبالقانون.. وأظن هذه أصبحت مهمتك الآن يا حضرة الضابط تفضلوا.

وقت الظهيرة يقود "أحمد المسلم" سيارة زوجته بعد أن قام بتقديم استقالته. يمر من بين السيارات يكلم نفسه وكأنما يرسل رسالة إلى زوجته:

- أعرف أنني مهما فعلت مستحيل تعودي مرة أخرى لي .. وما أنوي فعله لا فائدة لكِ منه ولا سوف يبرر ذنبك الذي أحمله على عاتقي .. لكن مستحيل ومهما كان أن أجعل دمك يذهب هباء.

اقترب المساءُ و"أحمد" داخل غرفة نوم الطفل الذي غاب قبل أن يأتي، جالساً على الأرض بجوار سريره الهزاز بنفس ملابسه التي كان بها، يهز السرير وكأنه يستشعر وجوده معه. يرن جرس الباب طويلاً، يسمعه بعد وقت وقد أفزعه فخرج من الغرفة والسرير مازال يهتز كمثل حاله يفتح الباب.

وجد أمامه الضابط "عماد الحسيني" الذي كان بمكتب المحامي العام قائلاً:

- لن آخذ من وقتك الكثير يا "أحمد بيه" في عدة أسئلة.

يظل ممسكاً بالباب ثم يرد دون أن يدعوه للدخول:

- أظن أنا لم أرم اللوم على أحد في قتل زوجتي ولم ألُم أحداً في اتهامي وقدمت استقالتي ... لكن بعد ذلك لا أحد يلومني.

"عماد الحسيني" بابتسامة خفيفة:

- عملنا ليس فيه لوم يا "أحمد" بيه فيه متهم وبريء... والتحقيق مازال جارياً وعند الانتهاء إن كان لك الحق سوف تأخذه.

"أحمد":

- وأنا لن أنتظرك

حاول "أحمد" غلق الباب فسنده بيده "عماد الحسيني" قبل أن يغلق بوجهه قائلاً ببرود:

- الاستقالة تم رفضها مؤقتاً والقضية مازالت مفتوحة لكل السيناريوهات ... وأنا مكلف رسمياً بالتحقيق في القضية ... لا يهمني تكون في النهاية بريئاً أو مظلوماً المهم لا أخسر في النهاية القضية.

"أحمد المسلم" باندهاش:

- كنت دائماً أتساءل عن فكرة الثأر عند الناس في الصعيد .. كنت أبقى متعجباً وأرمي اللوم.. هل الجهل أو التربية والنشأة والثقافة؟ .. لكن اليوم لم أعد متعجباً مع أنني كما ترى متربي هنا .

أغلق الباب في وجهه بكل قوة فيقف "عماد الحسيني" لثوانٍ أمام الباب ثم يبتسم وكأنه سعيد بما يفعله.

التفت يتجه إلى المصعد فوجد أمامه امرأتين في سن الأربعين تنظران إليه نظرة مظلمة يبدو كأنهما سمعتا الحوار . **نظرت إحداهما إلى الأخرى:**

- انعدم الإحساس من بعض البشر

وتتفرق كلتاهما إلى شقتها لا يبالي لهما ويتجه إلى المصعد.

*****

- 7 -

بداية الصباح خارج سور فيلا "مصطفي زهران"، واقفاً "أحمد المسلم" في سيارة زوجته بنفس ملابس الأمس بجانبه مسدس وكأنه يستعد للانتقام، خرجت من الفيلا سيارة بداخلها امرأة لا تتخطى الثلاثين من العمر بجانبها طفل في الصف الأول الابتدائي، وخلفها مباشرة سيارة أخرى، يتأمل "أحمد" بفكره مندهشاً، يبحث عن هذه المرأة والطفل .

ذهب بفكره وكأنما أراد أن يعرف من تكون؟ وضع المسدس في تابلوه السيارة وركض خلف فكره يبحث عن إجابة لفضوله إلى أن يقفوا جميعاً أمام مدرسة لغات، خرج الطفل من السيارة ومعه المرأة توصله لباب المدرسة تودعه بقبلة على خده ومن بعيد يلتقط "أحمد" لهما صورة بتليفون زوجته.

ترجع المرأة إلى سيارتها مغادرة المكان، لكن يلاحظ سيارة الحرس الشخصي لم تغادر خلفها.

وسيارة المرأة أوشكت على الاختفاء عن بصره، وسيارة الحرس في مكانها، يستوقفه سؤال في نفسه:

- من هذه؟

أجاب عن هذا السؤال الضابط "أكرم"، معه "أحمد المسلم" في مكتبه يسمع الإجابة، **في يد "أكرم" التليفون، نظر في الصورة التي التقطها "أحمد" قائلاً:**

- هذه مدام "سلمى" أرملة ابن "مصطفي زهران" الأكبر "قمر" ... وهذا الطفل هو "كريم" حفيد "مصطفي زهران" ... وأظن أن الآن "كريم" أصبح كل شيء له بعد وفاة أولاده الاثنين.

طرق الباب العسكري ودخل يحمل صينية القهوة يضعها على المكتب وينصرف، **أخذ "أكرم" فنجان قهوة يقدمه إلى "أحمد"، فوجده شارداً فسأله:**

- ما يشغلك؟.

"أحمد":

- والحرس الشخصي لما معهما؟.

وأخذ فنجان القهوة وأجاب عليه "أكرم" وهو أيضاً يأخذ فنجانه:

- ربما خائف على "كريم" وريثه الوحيد ... لكن فيما أنت تفكر؟.

خرج "أحمد" من سؤاله بسؤال:

- وما سبب وفاة ابنه الكبير؟.

"أكرم":

- مات في حادث من ثلاث سنوات.

اندهش "أحمد":

- كيف جمعت هذه المعلومات في هذه الفترة القصيرة!.

ابتسم "أكرم":

- منذ قضية "بدر" ... "أحمدط نحن هنا زملاء منذ أكثر من أربع سنوات ومن حقي عليك أن أحذرك وأخاف عليك ... "مصطفي زهران" كالشيطان في صورة إنسان ... دع القانون يأخذ حقك فأنت في الأول والآخر رجل قانون .. كان معي الليلة الماضية "حسن" بيه وأبلغني بالاتهام المقدم ضدك ... لا تحول موقفك من مجني عليه لمتهم يبحث عن براءته.

وقف "أحمد" قائلا:

- ممكن بسكين تقطع تفاح ممكن أيضا تقتل به ... والقانون حرفتي أشكله بما شئت.

وضع "أحمد" فنجان القهوة كي يخرج بعد أن فتح الباب، نادى عليه "أكرم" واتجه إليه:

- أسف يا "أحمد".

نظر إليه "أحمد" وكأنه يحمل نفسه فقط مسئولية ما حدث لزوجته وخرج تاركاً الباب للعسكري يغلقه.

فحكاية هذه المرأة "سلمى" تكتمل ظهورها داخل مكتب سكرتيرة "مصطفي زهران" وهى جالسة يظهر على ملامحها غلب الانتظار المتعمد، نظرت في ساعة يدها ونفثت في الهواء وعيون السكرتيرة الجالسة في انشغال لا تنقطع من عليها، **فتحدث "مصطفي زهران" عبر مكبر الصوت:**

- أين ملف شركة السياحة؟.

السكرتيرة تقطع نظراتها من على "سلمى" وتجيب مفزوعة:

- حالاً يا "مصطفي" بيه.

أخذت الملف وقامت مسرعة طرقت الباب ودخلت تضع الملف وقبل أن تخرج تقف على خوف قائلة:

- مدام "سلمى" في انتظارك منذ أكثر من ساعة.

نقر "مصطفي زهران" على المكتب بأصابعه يفكر بصوت مرتفع فأشار لها بكف يده أن تدخلها قائلاً بعدها:

- وعندما يأتي المستشار "كمال" لا تجعليه ينتظر.

خرجت السكرتيرة تاركة الباب مفتوحاً لـ"سلمى" قائلة:

- تفضلي يا مدام "سلمى" "مصطفى" بيه في انتظارك.

دخلت "سلمى" وظهر على وجه السكرتيرة ملامح الحزن والأسي بعد دخول "سلمى" لقسوة "مصطفي زهران"، **وقفت "سلمى" أمام "مصطفى زهران" المشغول في قراءة الملف قائلة:**

- آسفة لو كنت بشغل حضرتك.

يقلب "مصطفى زهران" بكل كبر الورقة ويقرأ أخرى:

- نعم!.

ظهر على وجهها الانكسار وخروج الكلام منها بخجل وتمزق وكأنما يمر على الأشواك قائلة:

- ممكن أزور أمي منذ أن.....

أغلق "مصطفي زهران" الملف بقوة ورفع حاجبه غاصباً:

- اعتقد أننا أغلقنا الحديث من قبل في هذا الموضوع.

دمعت عيناها وكأنها تتوسل إليه:

- لكنها أمي يا "مصطفي" بيه.

قام مصطفي يتحرك أمامها بهدوء لكنه مثل العاصفة قائلاً:

- اسمعيني وهذا للمرة الأخيرة التي سوف أتحدث في هذا الأمر ... أمك في كفة وابنك في كفة.

دخل المستشار "كمال" المكتب شارك في هذا العرض و"مصطفي زهران" يخيرها ومنتظراً إجابتها.

نظرت "سلمى" إلي المستشار "كمال" وكأنها تسترحمه أن يتدخل ولكنه تجاهلها وكأنه لم يكن هنا يفضل فقط المشاهدة من خلف الشاشة، **الوقت يمر ونظرات "مصطفي زهران" تزداد ناراً لا يبقى وبكل انكسار قائلة:**

- ابنى يا مصطفي بيه.

رجع جالساً على مكتبه قائلاً:

- أنا لديَّ أعمال كثيرة.

خرجت "سلمى" من مكتبه تمسح في دمع عينيها، فقامت لها السكرتيرة احتراماً لقهرها:

- مع السلامة يا مدام "سلمى".

قبل أن يبدأ المستشار "كمال" الحديث يبرر "مصطفي زهران" ما فعله وكأنه يشكو:

- امرأة مثلها كانت تحمد الله في كل يوم يمر على هذه الحياة التي لم تكن تتخيلها في حياتها حتى في الأحلام وابني حققها لها .. هي التي اختارت هذه الحياة وعليها أن تتحمل نتيجة اختيارها بعد أن جعلت ابني يقف أمامي ويتحداني لأجلها بعد وفاة "قمر" هذه هي ضريبتها .. أن تعيش خادمة لابنها .

*****

- 8 -

مازال "أحمد المسلم" يراقب سيارة "سلمى" التي ظلت في انتظارها طويلاً أمام المدرسة بعد أن أتت وأخذت ابنها "كريم"، وخلفهم كظل سيارة الحرس، و"أحمد المسلم" في ذيل هذا القطار.

وقفت "سلمى" أمام سوبر ماركت، نزلت من السيارة ومعها "كريم" ومن ورائها الحرس، لكنها رفضت وجودهم معها داخل السوبر ماركت، دخلت ومعها "كريم" يسير بجانبها.

لا يتردد "أحمد المسلم" كثيراً، خرج من سيارته ودخل وراءها. رأي "سلمى" تدفع أمامها عربه المشتريات وعيناه على "كريم" وكأنه يرى ما يذبح "مصطفي زهران"، يسير في الجهة المقابلة لها يراقبها أخذ عربة يدفعها أمامه يضع فيها بعض الأشياء، فلمح فرصة انشغال "سلمى" و"كريم" في مشاهدة السلع، فأتى أمامها مباشرة ووقف دون أن تشعر "سلمى"، فتحرك "سلمى" بدفعة قوية العربة فتصدم بعربة مشترياته، تنقلب عربة "سلمى" ويسقط منها كل محتوياتها على الأرض، **وتقع حقيبة يدها على الأرض فتعتذر على الفور:**

- أنا آسفة جداً.

وتنحني ململة محتويات العربة، انحني معها "أحمد" يساعدها وفي لمحة مكر وضع يده في حقيبة يدها المفتوحة سرق هاتفها المحمول ووضعه في جيبه دون أن تشعر "سلمى".

"سلمى" الذي لازال شعور الذنب بداخلها:

- لم أنتبه إليك.

"أحمد" وكأنه لا يهتم:

- لم يحدث شيء

ينتهيان من تحميل العربة وبعد "أحمد المسلم" عنها فتنادي عليه:

- من فضلك.

وقف "أحمد" وهو يشعر أنها اكتشفت ضياع هاتفها، لكن "سلمى" رأت مع الأشياء علبة لم تشترها أخذتها لتعطيها له:

- يخصك هذا.

تأمل العلبة "أحمد" وكأنما يحاول أن يتذكر سبب وجودها معه، فاندهشت "سلمى" ورفعت العلبة أمام عينيه، **فترك "أحمد" سبب وجود العلبة وأخذها:**

- شكراً.

اعتذرت له "سلمى" مرة أخرى، أجابها "أحمد" وهو ناظراً بجانبه على السلع:

- أنا أيضاً مثلك كنت تائهاً.

رد "كريم" بشغب:

- وأنت لم لا تعتذر!.

نظر إليه "أحمد المسلم" وهو يحاول تماماً تجاهل براءته:

- ابنك ينقصه بعض الشيء من الأدب.

"سلمى" باندهاش:

- نعم!.

فدخل عليهم اثنان من الحرس بعد أن شاهدوا وقوف "أحمد" معها . سألها أحدهم:

- هل يوجد مشكلة معك يا مدام "سلمى" ؟.

وجهت "سلمى" نظراتها بغيظ إلى "أحمد" وهى تجيب:

- لا ... هيا يا "كريم".

أخذت "كريم" ودفعت العربة، وضع "أحمد" العلبة التي لم يتذكر سبب أخذها ويسير عكس الاتجاه، أخرج من جيبه هاتفها المحمول الذي سخر من نوعه القديم، أغلقه ونظر إلى المشتريات التي أخذها رأى أنه ليس بحاجة إليها فترك العربة ويخرج مكتفياً فقط بالهاتف.

عاد "أحمد" إلى شقته مساءً، أخرج محتويات جيبه وأعاد تشغيل هاتف "سلمى"، وخلع معطفه وذهب إلى المطبخ يحضر كوب شاي وهو واقف مع نفسه يعد في نفسه من واحد، انتهى بتحضير كوب الشاي. خرج يجلس على الأريكة يتناول كوب الشاي وهو يصل في عده إلى "90 " فرن هاتف "سلمى"، يضع كوب الشاي وأكمل عده إلى المائة وقام بالرد على "سلمى" التي تسير في بهو الفيلا أخذت نفساً عميقاً بعد أن سمعت في أذنيها رن هاتفها الذي أتعبها الاتصال به نهاراً.. أمامها "مصطفي زهران" يلعب مع "كريم" ولكنَّ أذنيه معها يسمع المكالمة، **سألت "سلمى":**

- من أنت؟.

"أحمد":

- أنتِ المتصلة؟.

اقتربت "سلمى" من "مصطفي زهران":

- وهذا هاتفي!.

"أحمد":

- هذا هاتفك؟.

"سلمى":

- ماذا ترى!.

نافخاً في الهواء قائلاً:

- ربما أكون أسمعك جيداً لكن لا أراكِ.

"سلمى":

- آسفة هذا هاتفي.

"أحمد":

- وإيه الضمان ربما تكونين تكذبين.

"سلمى":

- على كل حال الهاتف لا يساوي المال مقابل ما سوف أعطيه لك

"أحمد":

- فعلاً هو آخره سلة المهملات.

نفثت "سلمى" غيظاً:

- ممكن نتقابل حالاً.

"أحمد":

- وهل هذا الهاتف يستحق له الخروج الآن .. ممكن في الصباح.

"سلمى":

- وأنا محتاجه الهاتف من فضلك ضروري، ممكن أقابلك هذه الليلة.

أعطاها "أحمد" العنوان، **لكنه يعدل في الميعاد بعد أن شم رائحة ملابسه وكأنه يشم رائحة كريهة:**

- بعد ساعة سوف أكون هناك.

أغلقت "سلمى" الهاتف ووضعته على الطاولة واقتربت من "مصطفي زهران":

- أنا لن أتأخر .

لا ينظر إليها "مصطفي زهران" قائلاً:

- اشتري لك هاتفاً جديداً .

"سلمى":

- المشكلة أن هذا الهاتف كان ملك "قمر" ... هيا يا "كريم".

نظر إليها "مصطفي زهران" قائلاً:

- الهواء خارجاً برد على "كريم" أخرجي أنتِ بمفردك.

يلح "كريم" في الخروج مع أمه، فبعد "مصطفي زهران" نظراته الحنون عن "كريم" إلى نظرات التهديد إلى "سلمى" قائلاً:

- "سلمى" اتصرفي مع "كريم" أو لا يهم هذا الهاتف أظن لن يكون أغلى من صاحبه.

نظرت "سلمى" إلى "مصطفي زهران" ونزلت بتهديده إلى "كريم" ليصبح بمستواها تترجاه:

- "كريم" يا حبيبي أنا لن أتأخر على أن تنتهي من "الهوم وورك" سوف أكون هنا ونعلب سويا "بلاي استيشن".

"كريم":

- أرجوكِ لا تتأخري

"سلمى":

- وأنا لا أستطيع التأخر عليك.

قبلته ونهضت ناظرة لـ"مصطفي زهران":

- بعد إذنك يا "مصطفي" بيه.

ذهبت وأخذت حقيبة يدها وخرجت. لكن أحمد مازال في شقته يحارب نفسه في صراع دخول غرفة النوم التي لم يستطع دخولها بعد الحادث وبعد تردد فتح الباب ودخل.

يشغل زر النور ويطفئه في لحظتها. اتجه مباشرة إلى الدولاب يفتحه يأخذ منه ملابس جديدة فتخونه عيناه ودقات قلبه نظر إلي السرير الخالي رأى قميص نوم زوجته مرمياً على السرير بروح دون جسد، دون إرادته يذهب إليه بخطوات ثقيلة ويمسكه ويقربه من أنفه يستنشقه وجفونه تقفل تخيلها في عينيه وكأنما نام في الذكريات، تنفس ببطء شكوى القميص الذي اشتاق إلى صاحبته، ولا يتحمل سؤاله عنها، أخذ نفساً عميقاً وضع قميص النوم بهدوء كما كان وخرج مسرعاً. يقف تحت الدش يغطى جسمه الماء الساخن يغسل جسده كله والدموع تملأ عينيه تغسل قلبه وإحساسه ومشاعره. ويُنهي الاستحمام.

خرج مباشرة لمقابله "سلمى" في المقهى دخل ورآها من الباب جالسة وعيناها تدور حول نفسها في كل مكان تنظر في كل الوجوه، أمامها كوب عصير، أخذ نفساً عميقاً وذهب إليها، **دون أي مقدمات أو إذن جالساً أمامها قائلاً:**

- مدام "سلمى" بالمناسبة أنا عرفت اسمك من الحيوانات الذين كانوا معكِ.

اندهشت "سلمى":

- وأنا لم أسألك... وبعدين أنت إنسان قليل الذوق من الذي سمح لك تجلس.

"أحمد":

- أرجوكِ لا تتجاوزي حدودك... وعليكِ الاعتذار قبل أن أغير رأيي وأقوم من هنا .

"سلمى":

- للأسف إنني حالياً لا يوجد معي الحيوانات كانوا ..

"أحمد":

- كنتِ سوف تعتذرين في كلتا الحالتين، وأظهر أمام عينيها هاتفها المحمول، تمد يدها بلهفة لتأخذ الهاتف يمنعه منها وطوال فترة الحديث لا ينظر إليها **وكأنه يستحقر وجوده هنا قائلاً:**

- عليكِ الاعتذار أولاً.

"سلمى" علي مضض:

- أنا آسفة ممكن الهاتف.

يعطيها الهاتف فتسأله:

- أين وجدته؟.

"أحمد":

- أكيد أنا لم أسرقه، وجدته علي الأرض بعد اصطدامنا.. لكن من الواضح أن هذا الهاتف غالي عندك رغم أنه حقير لا يساوى ثمن المشوار التي بذلته من أجله.

فتحت "سلمى" حقيبة يدها أخرجت منها مالاً ورمته أمامه على الطاولة قائلة:

- لا يخصك.

"أحمد":

- ما هذا!

"سلمى":

- مال.

"أحمد":

- هذه المرة أرى لكن لم أسمع السبب.

"سلمى":

- هذا ثمن هذا المشوار الذي لا يساوي حقه.

"أحمد":

- ربما أكون أحتاج لشيء آخر غير المال.

"سلمى":

- مثل ماذا!.

ضغط على نفسه "أحمد" قائلاً:

- أراكِ مرة أخرى.

"سلمى":

- اسمعني جيداً كل ما يمكن أن تأخذه مني هذا المال فقط.

قامت واقفة بكبر وغرور تنتظر قراره فنظر إلى المال ثم رفع النظر إليها قائلاً:

- أفكر.

"سلمى":

- أنت حر.

تركت له المال ومشت، فقام خلفها بالمال وقف أمامها في نصف المقهى:

- تفضلي .. سوف أفكر وأرد عليكِ.

أعاد لها المال وأخذ من المال ورقة بعشرين جنيهاً قائلاً:

- وهذا حساب العصير أنا سوف أدفع عنكِ المال.

أفسح لها الطريق فتركته في مكانه يلف في أصابع يده اليسرى خاتم زاوجه يتأسف على نفسه أن يقتحم حياة امرأة.

عاد يجلس على الطاولة مرة أخرى نظر من وراء الزجاج على الشارع رأى "سلمى" تستقل سيارتها وتبادله النظرات وهى لا تتصوره أمامها. فترك النظر عليها فلمح في يده العشرين جنيهاً وكأنه يرى فيها دم زوجته، فأحرقها من الشمعة التي أمامه، واستمر ناظراً إليها إلى أن أصبحت رمادا ويقوم ليضع ورقه بخمسين جنيهاً ويخرج.

بعد أن عادت "سلمى" بثوانٍ وهى جالسة بجانب "كريم" تنفذ وعدها وتلعب معه "بلاي استيشن" قرع هاتفها المحمول أخرجته من الحقيبة وأجابت.

كان "أحمد" واقفاً أمام المصعد منتظراً قائلاً لها دون مقدمات:

- حساب العصير لم يكف المال الذي أخذته منك.

"سلمى" بعد أن تتنهد بقوة:

- ألم ننته من هذا الأمر .

"أحمد":

- لن ننتهي! طوال ما لي حق عندك.

"سلمى":

- أي حق! المال ورفضت أخذه... ماذا أفعل لك أقبل يدك وأشكرك.

"أحمد":

- لن نصل لهذه الدرجة.

دخل المصعد وضغط على زر الصعود وأكمل حديثه:

- وأنا لم أرفض أخذ المال ولكن قلت لكِ سوف أفكر .. وبصراحة لم أجد منك أي منفعة غير المال... وربما لا أفهم علي أي أساس هذا الغرور التي أنت عليه !.

فتحت "سلمى" عينيها من الاستغراب قائلة:

- أنا! صدقني هذه آخر مره سوف نلتقي فيها.. ولو تعرضت لي...

خرج من المصعد "أحمد" يسير ببطء إلى باب الشقة ويُنهي حديثها:

- بدون تهديد ... أي موعد تحبين أن نتقابل.

"سلمى" باندهاش:

- نتقابل!.

"أحمد":

- أتمني أن يكون موعدنا ليس هذه الليلة لأنني متعب وأحتاج لنوم.

وقف عند باب الشقة وقامت "سلمى" تقبض على كف يدها قائلة:

- وأنت بخيالك الواسع متخيلاً أننا ممكن نتقابل هذه الليلة!.

"أحمد المسلم" مثلما اندهشت من قبل:

- نتقابل!.

تفكر "سلمى" وهى بعد أن نفثت غيظها في الغرفة، وتستغرق ثواني في التفكير فيقول لها:

- أنا متعب ومحتاج للنوم.

نظرت "سلمى" إلى سقف الحجرة لا تطيق هذه المكالمة قائلة:

- غداً في التاسعة صباحاً داخل المتحف المصري.

"أحمد":

- المتحف!.

"سلمى":

- وهذه ستكون آخر مرة إلا.....

أنهى "أحمد" المكالمة قبل أن تكمل وعيدها فتجلس بعد الانتهاء من هذه المكالمة:

- إنسان فظيع..

ونظرت إلى "كريم" الذي مازال يلعب قائلة:

- حبيبي ميعاد نومك.

"كريم":

- ممكن ربع ساعة أخرى.

بعد وجهها العبوس تعود ابتسامتها قائلة:

- ممكن لكن ربع ساعة فقط.

فيقبلها "كريم":

- موافق.

"سلمى":

- لأجل هذا سوف أجعلها نصف ساعة.

فتقبله وتجد أن القبلة لا تكفي فتحتضنه مما يُفسد عليه اللعب.

في الصباح أمام مدرسة "كريم" ينتظر "أحمد المسلم" في سيارة زوجته وصول "سلمى" و"كريم".

مرت سيارة "سلمى" من جانبه وخلفها سيارة الحرس، خرجت "سلمى" من السيارة في يدها "كريم" توصله إلى باب دخول المدرسة **وعين "أحمد" تقرأ همس شفتيها وهى تكلم "كريم":**

- لا تفتعل المشاكل مع أحد.

مما يسرح "أحمد المسلم" بعيداً، ويتخيل لزوجته هذا الحلم الذي كان أعلى آمالها، وكأنه يرى زوجته مكان "سلمى" و"كريم" ابنهما، وهو ينتظرهما في السيارة لولا دموع عينيه الآن، لكان ابتسم من متعة الحلم الذي يرى أنه السبب في فقدان حلم زوجته، وعلى هذا الكابوس يفيق ولا يجد سيارة "سلمى" أمامه، يرى فقط سيارة الحرس في مكانها، منتظرة خروج "كريم" من المدرسة.

نظر حوله في كل مكان يتفحص المكان رجع بالسيارة للخلف، ودخل شارعاً جانبياً يتفقد سور المدرسة.

وقف عند مكان يلفت نظره وهو بوابة دخول سيارات المدرسين، رأى الحارس على البوابة يفتحها باستمرار، لكثرة دخول السيارات، يلاحظ عدم وجود الحراسة لهذه البوابة...

يغادر المكان ذاهباً إلى المتحف المصري

بداخله تسير "سلمى" وكأنها سائحة تبحث عن شيء بين الزوار السائحين، لمحتها امرأة من نفس عمرها تعمل في المتحف، **نادت على "سلمى" وهى تلوح بيدها لها:**

- "سلمى" أنا هنا.

رأتها وذهبت إليها تعانقها "سلمى" قائلة:

- اشتقت إليكِ يا "أماني".

بلوم المحبة سخرت "أماني":

- بدليل أنني لم أركِ منذ أكثر من عام.

"سلمى":

- اعذريني أنتِ تعلمين والد "قمر" واستبداده.

"أماني" وعلى وجهها الاندهاش:

- ونحن كنا نحسدك على الفيلا والسيارة!.

"سلمى" بأسى:

- أنا لم أتمن كل هذا، أكثر ما تمنيت قمر... لكن الحمد لله.

"أماني":

- لكن هذه الزيارة وراءها سبب آخر؟.

"سلمى":

- أنا لن أكذب عليكِ يوجد سبب آخر وهو أمي... "مصطفي زهران" منذ فترة طويلة وخاصة بعد وفاة "قمر" وهو حرَّم علي زيارتها أو حتى أرسل لها المال... وكنت من فترة أرسل لها المال للدار عن طريق عامل هناك وبعد طرده لهذا السبب عندما علم "مصطفى زهران"... وأنا لم أجد غيرك.

"أماني":

- وأنا لا مانع عندي ... يكفي أن هذا سيكون سبباً كي أراكِ.

"سلمى":

- أخشى أن أكون أثاقل عليكِ.

"أماني":

- لا عليكِ.

دخل "أحمد المسلم" المتحف، تراه "سلمى" فتتغير ملامح وجهها المرسومة بالبراءة إلى غل وغيظ.

فنظرت "أماني" إلى "سلمى" وإلى ما تنظر إليه "سلمى"، تتجه نظراتهما معاً إلى "أحمد" الذي انبهر بشكل الآثار، **فتسألها "أماني":**

- من هذا؟.

"سلمى" بتذمر:

- هذا الرجل يضايقني بتصرفاته.

"أماني":

- دعك منه وإن حاول التقرب منك سوف أبلغ الشرطة عنه.

"سلمى":

- لا لا من المفترض أنني مدينة له ببعض المال... لكن إن رفض هذه المرة أخذ المال فافعلي معه ما شئتِ.

"أماني":

- دعي الأمر لي ... إنما ما قصة المال؟.

"سلمى":

- فيما بعد سوف أحكي لكِ.

حاولت "سلمى" أن تلفت انتباه "أحمد" بينما عيناه مشغولة في مشاهدة المومياء، مع أنه يعلم بمكان وجودها منذ لحظة دخوله، لكن انشغل بشدة في مشاهدة الآثار، فسمع مناداتها فنظر إليها واستمر في مكانه. **أتيا إليه وهو يحدق النظر علي المومياء ثم قال لهما:**

- يومياً أمر من أمام المتحف ولأول مرة أدخل هنا.

نظر "أحمد" إلى "أماني" سألها:

- أنتِ موظفة هنا؟.

"أماني":

- كما ترى!.

أشار إلى تابوت المومياء سألها:

- هذا التابوت التي استردته مصر مؤخراً من **ألمانيا**؟.

نسيت "أماني" غيظ "سلمى" وتعامله بكل ذوق:

- ليس هذا فقط وبعض التماثيل وأوراق البرديات.

استغربت "سلمى" من رد فعل صاحبتها، رفعت حاجبها مندهشة من أمرها، وهي التي كادت منذ دقائق تشعل فيه النار تتسامر معه الآن!.

أخرجت "سلمى" له المال لتنهي هذه المقابلة قائلة:

- ممكن تأخذ المال وشاهد على راحتك المتحف.

تذكرت "أماني" وعدها وكأنها عائدة من رحلة، فتكف عن مواصلة الشرح، **تنظر إلى "أحمد" بانتظار رد فعله الذي قال:**

- ممكن تعتبريها هدية مني .. لأنك كنتِ سبباً في دخولي هذا المتحف.

ردت "سلمى" بعصبية:

- ممكن تأخذ المال أنا حقاً سئمت منك.

تتدخل "أماني" لتنفذ وعدها قائلة:

- يا أستاذ من الأفضل لك أن تأخذ المال بدل أن نضطر لأسلوب ممكن لا تحبه.

"سلمى":

- من فضلك ارحل دون إهانة.

التفت "أحمد" من مشاهدة الآثار:

- أنا لن آخذ المال وسوف أخرج من هنا دون إهانة رغماً عنكما.

"أماني":

- من الواضح أنك إنسان قليل....

التفت "أحمد" غاضباً يقطع حديثها:

- انتبهي إلى ألفاظك وتحدثي بأدب.

نظرت "سلمى" إلى "أماني" وكأنها قالت لها بعينيها:

- ماذا سوف تفعلين معه؟.

نادت "أماني" على ضابط شرطة حديث التخرج بعيداً عنها بعدة خطوات، أتي إليها الضابط الشاب، **يظهر على ملامحه الغرور في يده جهاز اللاسلكي:**

- هل يوجد عندك مشكلة أستاذة "أماني"؟.

أشارت على "أحمد" قائلة:

- هذا الأستاذ هنا ليفتعل المشاكل.

هز "أحمد" رأسه من التعجب قائلاً:

- هذا كل ما عندك!.

"الضابط":

- تفضل معي وأنا أقدم لك ما عندنا.

نظر "أحمد" إلى "أماني" رأى ابتسامة شماتة ويدور بعينيه إلى "سلمى" التي تحزن لما حدث قائلة:

- بعد إذنك يا حضرة الضابط هو سوف يخرج دون مشاكل.

"أحمد":

- وأنا لا أنتظر شفقة من أحد.

"الضابط":

- أنت لا يهمك أحد.

وتحدث في اللاسلكي طلب المعاونة من أفراد الشرطة، **ووضع يده على كتف "أحمد" قائلاً:**

- سوف تعرف من نحن!.

نزع "أحمد" من على كتفه بقوة يد ضابط الشرطة قائلاً:

- لا أظن !.

أخرج في وجهه بطاقة عمله، فتغيرت ملامح وجه الضابط معتذراً على الفور. فظهر على وجه "أماني" و"سلمى" الاندهاش ينظران لبعضهما، **فنظر "أحمد" إلى "سلمى" قائلاً:**

- ألم أقل لكِ سوف أخرج من هنا رغماً عنكما.

وجه الحديث إلى الضابط في قدوم أفراد الشرطة وكأنما يسخر منه:

- اجعلهم يشاهدون المومياء واجعل المدام تشرح لهم.

تركهم "أحمد" ويعود الضابط إلى مكانه بعد أن أشار إلى أفراد الشرطة من بعيد بالعودة، **نظرت "أماني" إلى "سلمى" قائلة:**

- أنتِ ناوية تدخلينا السجن!.

"سلمى" وهى مازالت مندهشة:

- ماذا يعمل؟.

ابتسمت "أماني" بسذاجة قائلة:

- ألم تري من أصحاب "الكارنيهات".

"سلمى":

- اسألي الظابط ماذا يعمل.

"أماني":

- اسأل من بعد هذا الإحراج الذي سببته.

"سلمى":

- الضابط !.

"أماني":

- من المفترض أن أسألك أنتِ من هذا وقصته معكِ؟.

******

- 9 -

يكمل "عماد الحسيني" مشوار تحقيقاته ويفرد شعره في اتجاه ريح "مصطفي زهران"، يدخل على السكرتيرة وقبل أن يسألها بعد أن وقف أمامها لتسمعه، **رن هاتفه المحمول فتركها وأجاب على المكالمة الواردة:**

- احجزه في مكتبك سوف أستجوبه أنا بنفسي.. والجار.. نعم مات غيبوبة سكر!.

أنهى المكالمة متعجباً واتجه إلى السكرتيرة قائلاً:

- أقابل "مصطفي زهران" .

السكرتيرة باندهاش:

- "مصطفي" بيه.

"عماد الحسيني":

- ممكن.

السكرتيرة وهى تهب قائلة:

- حالياً مشغول في اجتماع مجلس إدارة.. لكن ممكن تأخذ ميعاداً.

أخرج "عماد الحسيني" كارتاً شخصياً ويعطيه لها قائلاً:

- من الأفضل أن أدخل له الآن بدل أن أستدعيه في مكتبي في الوقت الذي أختاره أنا.. وأظن ممكن بعدها يقوم بخصم مرتبك أو ربما فصلك من العمل .. إن علم أنني كنت هنا ولم أقابله.

أخذ الكارت وقامت السكرتيرة ودخلت المكتب في أثناء وجود أعضاء مجلس الإدارة وتعطى على تخوف الكارت إلى "مصطفي زهران". **فيصيح فيها:**

- ألا ترين أنني في اجتماع.

السكرتيرة:

- آسفة يا مصطفي بيه .. لكن...

"مصطفي زهران":

- لكن ماذا؟

اقتربت منه وهى على تخوف تعطيه الكارت قائلة:

- هو الذي أصر على مقابلتك.

وهمست في أذنيه تقول له ما قاله لها، فيميل المحامي على "مصطفى زهران" الذي لا يفارق مجلسه. **سأله:**

- من هذا؟.

أعطاه "مصطفي زهران" الكارت ليقول له الكارت بنفسه عن صاحبه ونظر إلى السكرتيرة قائلاً:

- أدخليه.

خرجت السكرتيرة على الفور لتجد "عماد الحسيني" واقفاً في مكانه يشعل سيجارة قائلة:

- تفضل يا "عماد" بيه.

رآها مستاءة من السيجارة فسألها:

- السيجارة أزعجتك؟.

ابتسمت قائلة:

- في كل الحالات الطبيعية أطلب من أي حد إطفاءها قبل دخوله .. لكن في مكتبي شيء طبيعي لأنني أدخن.

أخرج لها "عماد الحسيني" سيجارة قائلاً:

- التدخين ضار جداً بالصحة.

فأخذت منه السيجارة وأطفأ سيجارته ودخل المكتب في خروج أعضاء مجلس الإدارة والكل يتبادل النظر في وجه "عماد الحسيني" **على أعينهم تساؤل:**

- من هذا؟.

على مائدة الاجتماع جلس "مصطفى زهران" والمستشار "كمال"، يشير له "مصطفي زهران" بالجلوس وبعد أن جلس "عماد الحسيني" **قال "مصطفي زهران":**

- نعم !.

بعد أن نظر "عماد الحسيني" إلى المستشار "كمال":

- ممكن نكون على انفراد.

"مصطفى زهران":

- هذا سيادة المستشار السابق "كمال عز" والمستشار القانوني بالمجموعة.

"عماد الحسيني" بابتسامه خفيفة:

- أهلاً وسهلاً لكن لا يمنع أن نكون على انفراد.

وقف المحامي يلملم في أوراقه ليخرج قبل أن يحرجه مرة أخرى "عماد الحسيني":

- أنا في مكتبي أكمل باقي عملي... فرصة سعيدة يا حضرة الضابط.

خرج المحامي ونظر "عماد الحسيني" إلى "مصطفي زهران" سأله:

- لماذا لم تدفع المبلغ الذي طلب منك؟.

"مصطفى زهران":

- تقصد قضية وكيل النائب العام "أحمد المسلم".

"عماد الحسيني":

- أظن لا يوجد حديث بيننا غير هذا!.

"مصطفي زهران":

- كان الاتفاق أنه سيحصل على نصف المبلغ والمتبقي بعد خروج "بدر" .. لكن مات "بدر".

عماد الحسيني:

- عظيم ! لماذا انتحر "بدر" طالما سوف يخرج.

"مصطفى زهران":

- هذا السؤال أيضاً أسأله لنفسي ربما يكون "بدر" قتل ولم ينتحر.

"عماد الحسيني":

- تعني أن وكيل النائب العام أحمد المسلم قتل بدر؟.

"مصطفى زهران":

- لا أستبعد أن الذي يمكن أن يرتشي من السهل عليه فعل أي شيء آخر.

"عماد الحسيني":

- أولاً التحقيقات مازالت جارية ولن يوجد أي دليل إلى الآن يثبت أن وكيل النائب العام مرتشٍ من عدمه.. وأنت أيضاً لم يثبت أن ادعاءك باطل أم لا.. والتقرير النهائي للطب الشرعي سوف يثبت إن كان "بدر" منتحراً أو مقتولاً.. لكن لا نبعد كل الاحتمالات وإن كان "أحمد المسلم" له مصلحة مباشرة في موت "بدر" لماذا قبل الرشوة؟.

"مصطفى زهران":

- هذا السبب الذي جعلني أتقدم بالبلاغ ضد أحمد المسلم واتهامه كي أعرف السبب.

"عماد الحسيني":

- ألا تري أنه من المنطقي رواية وكيل النائب العام "أحمد المسلم" هي أقرب للواقع في قضية قتل زوجته.. وأنك بالفعل احتجزت زوجته على سبيل الضغط عليه مثلاً.

ابتسم "مصطفي زهران" بخبث قائلاً:

- ولماذا أقتل وأنا كنت سوف أدفع له 2 مليون دولار .. نقطة في بحر ما أملك مقابل حرية ابني ولو كان طلب أكثر من ذلك كنت سأدفع دون مفاوضة.

أبحر به "عماد الحسيني" فسأله:

- لكنه أيضا من الغريب أن تُقتل زوجته بعد انتحار "بدر" بساعات قليلة!.

"مصطفى زهران":

- قضاء وقدر.

"عماد الحسيني" باندهاش:

- قضاء وقدر! علي كل حال الأيام القادمة هي التي سوف تحدد إن كان قضاء وقدراً أن تقتل امرأة بطلقة في منتصف جبهتها أم بفعل فاعل!.

"مصطفي زهران":

- مثل نوعية "أحمد المسلم" أكيد له أعداء كثيرون.

"عماد الحسيني":

- الآن أنت معترف بالرشوة.

"مصطفى زهران":

- أنا لم أختر بل فرض الأمر أمامي وأنا في هذا الوقت لم أستمسك بالمبادئ مقابل حياة ابنى وأي أحد غيري في مكاني كان ممكن أن يضحى بعمره

مقابل حياة ابنه.. وعلى استعداد أن أقضي بقية عمري في السجن لكن هذا البلد ينظف من أمثال "أحمد المسلم ".

ابتسم "عماد الحسيني":

- بدون شعارات زائفة أنت نصف مالك قروض مهربة خارج البلاد.

مد "عماد الحسيني" يده أخذ الكارت من أمام "مصطفي زهران" يضعه في جيبه قائلاً:

- لو كان وكيل النائب العام "أحمد المسلم" مداناً فسوف ينال عقابه لا أحد فوق القانون .. ولو اتهامك الذي شغل الهيئة القضائية غير صحيح .. لن تجد من يرحمك.

وقام "عماد الحسيني" ناهياً حديثه:

- يوجد الآن إنسانة مقتولة وأنا أرى أنها ضحية حتى إن كان "أحمد المسلم" متهماً أو ضحية.. وأن دمها لن يضيع مهما كلف الأمر.

فخرج "عماد الحسيني" دون أن يغلق الباب ونظرات "مصطفى زهران" مسلطة عليه. **يصيح منادياً على السكرتيرة فتدخل مسرعة قائلاً:**

- أغلقي هذا الباب .

*****

- 10 -

داخل شقة "أحمد المسلم" الخافتة أنوارها دائماً، يطفئ ناره بدموعه وكأنه بنزين يشعل النار أكثر، يسير بين الجدران يلملم ذكريات زوجته المتناثرة في كل ركن، يسمع زقزقة العصافير حوله يركض خلف هذا الصوت إلى آخر الصالة، يجد أمامه قفص العصفورين اللذين أهملهما ونسيهما، **يتذكرهما ويسرع يضع لهما الحب والماء وينظر إليهما بحب ويداعبهما ويسألهما وكأنما يشكو:**

- ربما اشتقتما إليها مثلي.. الحياة دونها كالظلام.. تعتقدان أنها ربما تكون سامحتني! وأنتما أيضاً سامحتماني أني كنتُ السبب في حرمانكما منها؟.

نظر خلفه إلي صورتها وكأنما مغناطيس جذبه إليها وأصبحت عيناه من الدموع لا ترى أمامه، تتعثر قدماه بالكرسي فيستند عليه قبل أن يقع على الأرض.

استمر جالساً طوال الليل أمام صورتها، يقرأ لها القرآن إلى أن غلبه النوم، ويأخذه إلى عالم بعيد عن الحياة، يراها طيفاً من الخيال أمامه يكلمها ولا تكلمه. كلما اقترب منها بعدت عنه مسافة ما يخطوه نحوها، يفيق من نومه يجد الصباح أشرق والمصحف بين يده، أغمض عينيه ورجع إلى النوم.

خارج هذا الصباح في فيلا "مصطفي زهران" خرجت سلمى من باب الفيلا إلى الحديقة وفي يدها "كريم" يحمل حقيبة المدرسة.

نادى عليها "مصطفى زهران" من داخل الفيلا في يده حقيبة أوراقه، وكأنما يفزعها هذا الصوت وقفت قلقة .

خرج من باب الفيلا يقابله السائق يأخذ من يده الحقيبة ويسبقه إلى السيارة واقترب من "سلمي":

- صباح الخير "مصطفى" بيه.

تجاهلها "مصطفى زهران" وكأنها ليست موجودة ملتفتاً كلياً إلى "كريم" قائلاً:

- صباح الخير يا حبيبي .. أين حضن جدك؟.

يحتضنه "كريم" وبعد أن ينتهي تمد "سلمى" يدها لتأخذ "كريم":

- عن إذنك يا "مصطفى" بيه.

منع "مصطفي زهران" يدها قائلاً:

- انتظريني قليلاً.

وجه حديثه لـ"كريم":

- أنتظر ماما في السيارة يا "كريم".

ذهب "كريم" بعد أن أخذ قبلة أخيرة من جده، واستمر "مصطفى زهران" ينظر إلى "كريم" إلى أن صعد السيارة، **فتبدل وجهه ونظر إلى "سلمى" قائلاً:**

- إياكِ أن تنسي في لحظة نفسك وتنسي من أنا.. لا أحد يجرؤ على خداعي أو يكسر أمري.

تتلجلج "سلمى" بكل جوارحها. سألته:

- ماذا حدث مني؟.

نظر "مصطفى زهران" على "كريم" متبسماً ثم نظر إليها:

- ما معني أن ترسلي لأمك مالاً؟.

"سلمى":

- أنا نفذت كلامك ولم أذهب إليها.

"مصطفى زهران" كاتماً صياحه:

- وهذه أموالي أتركها لكِ لأجل "كريم" وليس أمك .. وأظن كفى ما تكفل به من قبل "قمر" ابني .. وأيضا لأجله تركتك تعيشين هنا.. لا تدعيني افعل ما يصح فعله.

انكسرت "سلمى" بالدموع:

- أنا آسفة لكن ..

"مصطفي زهران":

- وأنا لن أنذرك مرة أخرى .. المرة القادمة أنتِ تعلمين مصيرها.

كالذي ينفض الذباب من على وجهه يأمرها أن تتركه، تذهب "سلمى" وهى تمسح في دموع الصباح من على خدها، مثل الندى على ورق الشجر وهو ينفض الهواء من فوق غصنه، تتجه صوب السيارة فنادى عليها، واقفة في مكانها وهو يتقدم إليها، **أخرج من جيبه المال الذي كانت أرسلته إلى أمها قائلاً:**

- انفقي هذا المال على "كريم" وأيضاً لا تحرمي نفسك منه وهذا لأجل "قمر" ابني .

أخذت منه المال وذهبت إلى سيارتها و"مصطفي زهران" مستمر في النظر إليها، يتساءل عن سبب الذي جعل ابنه يعشقها كل هذا العشق، رن هاتفه المحمول ليبعد نظراته اللعينة عنها. **يجيب وهو يتجه إلى سيارته يفتح له السائق الباب:**

- أنا متجه الآن إلى النيابة وسوف أنتظرك هناك.

تقود "سلمى" السيارة تحاول إخفاء الدموع من أمام "كريم"، **لكن الدموع كبريق النجوم في السماء يسألها "كريم" من كثرة رؤيته لدموعها:**

- عيونك دائما بها ألم.

مسحت دموعها وسألته:

- لمَ يا حبيبي؟.

"كريم":

- طوال الوقت أراك تبكين.

ابتسمت "سلمى" محاولة إخماد ما بها قائلة:

- سوف أذهب للطبيب.

التفتت "سلمى" للقيادة وهى مازالت تمسح في دموعها وتسأل نفسها:

- مستحيل اترك أمي دون مال.. لكن كيف؟.

داخل مكتب وكيل النائب العام "حسن" يحقق في قضية قتل "نهى"، يقف أمامه سائق السيارة الأجرة المبلغ عن الحادث شاب طويل القامة يسأله "حسن" بهدوء:

- من لحظة وجودك هنا وكل حديثك لوم على أنك بلغت عن الحادث!، من فضلك تحدث عما تعرفه عن الحادث.

السائق:

- أنا كنت واقف بالتاكسي في مكان الحادث.

"حسن" متعصباً:

- أقسم بالله إن لم تتحدث مباشرة في تفاصيل الحادث لسوف أحبسك بقضية تعاطي المخدرات.

السائق بخوف:

- سوف أتحدث.

طرق العسكري الباب ودخل في يده كارت يعطيه لـ"حسن" قرأ الكارت ونظر إلى العسكري:

- أبقيه خارجاً على أن أنتهي.

خرج العسكري، أشار "حسن" إلى السائق لتكملة حديثه، وبعد حديث طويل لا يصل منه "حسن" لشيء، خرج السائق وأذن لدخول "مصطفى زهران"، دخل "مصطفي زهران" ومعه المحامي المستشار "كمال" الذي يتقدم بإعطاء الكارت إلى "حسن"، يشير لهما بالجلوس، **سأل المحامي "حسن":**

- لمَ استدعت النيابة "مصطفي زهران"؟.

"حسن" ساخراً:

- وما سبب وجودك هنا!.

فوجئ المحامي ونظر إلى "مصطفى" قائلاً:

- أنا المحامي الخاص للسيد "مصطفى زهران" ومن الطبيعي أن أكون معه في النيابة العامة.

نظر "حسن" إلى "مصطفي زهران" فسأله:

- وأنت ألا تعلم لماذا أنت هنا؟.

"مصطفى زهران":

- أنا منتظر أعرف سبب وجودي هنا.

"حسن" بعد نظرة ثاقبة:

- السيد وكيل النائب العام "أحمد إبراهيم المسلم" تقدم ببلاغ يتهمك بقتل زوجته.

أراد المحامي الإجابة على السؤال بدلاً من "مصطفي زهران":

- لو سمحت.....

فقاطعه "حسن":

- لو سمحت السؤال موجه فقط لـ"مصطفي زهران".

"مصطفى زهران" سأله:

- أي أحد يقدم بلاغ يتم تصديقه.

"حسن" ساخراً:

- من المفترض أنت آخر واحد تتكلم عن البلاغات الكاذبة .. اتهامك ضد "أحمد المسلم" مهتمة به كل السلطات القضائية والنيابية.

سأله:

- وهل أنا أخطأت؟.

"حسن":

- هذه ليست قضيتي الآن.. لكن هذا من حقك ومن حقي أيضاً عندما أوجه لك سؤالاً أن تجيب مباشرة .. أنت هنا في البلاغ المقدم ضدك..

"مصطفى زهران":

- أنكر اتهام وكيل النائب العام وهذه محاولة منه ليضلل بها التحقيقات .. ابحث عن أعدائه؟.

استند "حسن" إلى المكتب وكأنما يريد أن يقفز عليه قائلاً:

- "أحمد" من أعز أصدقائي وأعرف عنه أنه أنزه من أمثالك.

اعترض المحامي قائلاً:

- أنا لن أسمح لك بأن تكلم موكلي بهذا الأسلوب.

عاد "حسن" إلى طبيعته قائلاً بهدوء:

- إن لم يعجبك أسلوب التحقيق تفضل خارج مكتبي.. وتقدم بشكوى للسيد النائب العام ووزير العدل ضدي.

ونظر "حسن" إلى "مصطفي زهران" قائلاً:

- لو أتحدث عن أعداء "أحمد المسلم" أكون الآن أستجوب الرجل المناسب.

أجاب "مصطفي زهران" بعد أن أشار إلى المحامي بالتزام الصمت قائلاً:

- وأنا لا أعرف شيئاً عن اتهام "أحمد المسلم" ضدي.. أنا رجل أعمال ولي اسم كبير.

المحامي:

- النيابة العامة لديها أي اتهام آخر ضد "مصطفي زهران"؟.

"حسن":

- حالياً لا.. ممكن توقع على أقوالك.

نهض المحامي ومعه "مصطفي زهران"، وقع على أقواله وبعد أن انتهى. سأل المحامي:

- ممكن نرحل.

"حسن":

- ممكن . لكن لا أحد يهرب من فعلته وقريباً جداً سوف أحضر حكم الإعدام ضدك.

خرج المحامي و"مصطفي زهران" وسرعان ما جلس على مكتبه ومعه المحامي يسأله:

- لا تقلق النيابة العامة لن تجد أي دليل نحوك والغموض يحوم حول القضية وكأنك رميتها في بئر وأصبحت ليس لها إلا طريق واحد.. أن تُقيد ضد مجهول.

"مصطفى زهران" قائلا:

- الذي يقلقني حالياً هو الضابط "عماد الحسيني" .. بدأ يبحث عن كل شيء عني.

ابتسم المحامي وأشعل سيجارة قائلاً:

- لا تشغل بالك به وهو كل ما يهمه قضية أحمد المسلم.. قضية مثلها لا تحدث كثيراً سيخرج منها بترقية.. لكن هذا لا يمنع أن نأخذ حذرنا ولا داعي لأي تهور جديد.. أي غلطة الآن ليست في مصلحتنا.

******

- 11 -

دخل ليلاً "أحمد المسلم" مقهى، نظر في كل مكان يبحث عن أحد، اتجهت عيناه عن من أتى له وهى "سلمى"، رآها تمسح بمنديلها بعض قطرات دموعها، وقف أمامها وكأنما شبح يفزعها ظهوره المفاجئ، **جلس قائلاً:**

- أكيد أنا مستغرب من اتصالك بي ولا أعرف لمَ طاوعت نفسي وأتيت للقائك .. قبل أن تندهشي أنتِ حاجز أتمنى تجاهله .

"سلمى" بحساسية شديدة قائلة:

- أنا آسفة أنني قمت بالاتصال بسيادتك وآسفة أكون تسببت في إحراجك.

وقامت بالفعل وتركته، ضغط "أحمد" على نفسه يقبض على كف يده وقام خلفها مسرعاً ينادى عليها بالانتظار، **وقف أمامها وهو يحاول أن يحن لهذه المرأة وأصابع يده على خاتم زواجه فسألها:**

- ممكن أعرف سر بكائك؟.

تتركه قائلة:

- لا يهم عن أذنك.

تركته وخرجت مسرعة وكأنها تهرب من شيء، نظر "أحمد" إلى الأرض وكأنما ينظر في مرآة نفسه مستاء من حماقته، **فخرج خلفها يلحق خطواتها السريعة يسير بجانبها قائلاً:**

- تعجبت فقط من اتصالك بعد ما كنتِ لا تطيقنني!.

تسير في خطوة خفيفة قائلة:

- لأنني في احتياج لمساعدتك.. عندما قابلتك في المتحف كنت أطلب من زميلتي أن أرسل عن طريقها مالاً لأمي .

وتحكى له في كلمات قصيرة قصتها ومن فوقهما ماء السماء يمطر عليهم بقطرات، لكن دموع قلبيهما تنسيهما البرد، **بعد ما علم "أحمد" سبب المقابلة سألها:**

- ولمَ أنا الذي كلفته بهذه المهمة؟.

ضمت "سلمى" يدها حول صدرها واقفة قائلة:

- تصدقني إن قولت لك أنني لا أعرف أحداً غيرك .. أنا لي أخ من الأب ربما أكون نسيت ملامحه.. وحينما رأيتك تظهر بطاقة العمل الخاصة لضابط الشرطة.. علمت أنك شخصية مهمة صاحب سلطة وتستطع بسلطتك أن توصل المال لأمي.. بعد قامت زميلتي بتوصيل المال لإدارة الدار لكي في النهاية تصل لي مرة أخرى.. أنا أعيش مع إنسان ظالم له نفوذ في كل مكان لذلك أنا قمت بالاتصال عليك ربما يكون لك طريقة دون أن يشعر بها

سألها:

- هذا فقط!.

"سلمى" بعد أن أغمضت عينيها قليلاً:

- ربما ندمت بعد اتصالي بك حتى لا تسيء الظن .. لكن الذي لا تعلمه أنني أحب زوجي أكثر مما تتخيل.. وسوف أظل باقية على ذكراه طيلة عمري

أخذ "أحمد" نفساً عميقاً من غيوم السماء قائلاً:

- أنتِ أيضاً أسأتِ فهمي .. لكن أين "كريم" لماذا لم يأت معكِ؟ وأين البقر الذين يسيرون خلفك؟.

"سلمى" بابتسامة خفيفة:

- خشي عليه جده من البرد.. لكن البقر هؤلاء ليس لي بل لأجل "كريم".

"أحمد":

- ولم؟.

"سلمى":

- أصبح جده بعد وفاة ابنه وهو دائماً يسكن في قلق .. يعتقد أن كل البشر أعداؤه مع إنه أكبر عدو لنفسه، لكن أنا أرى في إصبعك خاتم زواج؟.

رفع "أحمد" يده لعينيه يقرب منها الدبلة وأصابعه تلمس عليها بدفء قائلاً:

- أنا أيضاً أعيش على ذكري.

وحاول ألا يتحدث عن نفسه وسألها:

- لكن الدموع التي رأيتها كانت تحمل معاني كثيرة!.

وكأنما تحولت نبرة صوتها إلى ناي يغرد من بين شفتيها قائلة:

- إحساس إنك تدفع ثمن حبك ذل أكبر من إحساسك بقهر وجعك .. أنا مشكلتي أنني عشقت إنساناً ثرياً، وفي نظر والده لا أصلح إلا أن عشيقته وربما حتى هذا تكرماً وفضلاً منه ..

تذكر "أحمد" كلام بدر في مكتبه له وهز رأسه كأنما لا يصدق حاله الآن، وانتبه لـ"سلمى" بصوتها الحزين وهى تتابع حديثها:

- حتى أمي ضحيت بها مقابل أن "كريم" لا يفارق أحضاني مع أنني أرى نفسي أنانية قبلت بهذه التضحية ورضيت على أمي أن تعيش إحساس فراق ابنتها .. لا تتصور كم أتمنى أن أرتمى في أحضانها لكن ليس عندي استعداد أخسر ابني .. منه لله الذي جعلني في أصعب اختيار في حياتي.

"أحمد":

- لهذه الدرجة تحبين ابنك.

يصلان أمام سيارة "سلمى" ويقفان، وأجابته:

- أنا أمٌّ على استعداد أن تخسر حياتها لأجل ابنها.. "كريم" كل دنيتي التي طالما تحملت الظلم والصبر.

تاه "أحمد" من معاني إحساسها لبعيد يتذكر أمنيه زوجته، لمحت "سلمى" عينيه المتغربة عنها لبلاد الأحزان، **سألته:**

- ما بك؟.

حاول "أحمد" طرد هذا الخيال وهو ينفض وجهه:

- لا شيء أكملي حديثك.

"سلمى":

- أكيد ليس لديك أولاد ولم كنت تسأل هذا السؤال وكنت شعرت بهذه النار.

وكأنما تبدل الناي منها إلى "أحمد" قائلاً:

- غيرك حسها قبل أن يراها حقيقة.. حلم كان يحلم به في كل يوم يمر أن يعيشه واقعاً بين يديه .. حضن احتضنه قبل أن يكون وهماً .. كان كل يوم يمر وهو على هذا الحلم صابر منتظر هذا اليوم إلى أن صار الحلم سراباً وليته يستطيع أن يعود يحلم به مرة أخرى ولا حتى تخيله بين أوراق السطور .. فقد انتهت حكايته قبل أن تكتمل.

سألته:

- عن من تتحدث؟.

أغمض عينيه قائلاً:

- أتحدث عن الزمان والقدر وأناس تدفع ثمن غيرهم.. مثل الطيور البريئة التي تقع ضحية بين أيدي الصياد.. أتحدث عن كابوس أغفل عليه وليس حلماً أستيقظ عليه.

وكأنها شعرت بالذنب فتخرجه كما أدخلته إلى هذا العالم:

- أنا أوجعتك بمشكلتي.

"أحمد":

- أنا سوف أوصل المال لأمك برغم أنني ممكن بعدها أدين نفسي لكن أنا أعلم أننا في مواجهة نفس المشكلة.

خجلت "سلمى" أن تنظر في عينيه لتفهمه لكنها سألته:

- أنا غير قادرة على فهم الغموض الذي في حديثك!.

"أحمد":

- لا تشغلي بالك فيما أقوله المهم النتيجة في النهاية.. مع السلامة يا مدام "سلمى".

فتحت "سلمى" باب السيارة ثم التفتت إلى "أحمد" قائلة:

- أنا متشكرة لك كثيراً يا .. بالمناسبة أنا لم أتعرف عليك؟.

"أحمد" بعد ثوانٍ:

- أحمد.

"سلمى" وهى تبتسم:

- تشرفت بحضرتك.

نظر "أحمد المسلم" إلى السماء ثم قال:

- هيا الهواء برد.

صعدت "سلمى" للسيارة ويسير "أحمد" أولاً في اتجاه سيرها وهى ناظرة إليه ثم تدير السيارة وتأتى من خلفه تودعه بابتسامة، هز "أحمد" رأسه بالوداع دون أن يبتسم أو يستغرق نظره إليها، يسير تحت الأمطار التي بدأت تزداد، **يعيد مع نفسه حساباته يتساءل:**

- ما ذنبها أحرمها من ابنها وتدفع هي أيضاً ذنب غيرها؟ و"نهى" أيضا ما كان ذنبها؟ وأنا! لازم في النهاية "مصطفي زهران" يدفع هذا الثمن .

ونظر إلى السماء وكأنه في لوم للزمان:

- لمَ لا تنتظر الشمس قبل الغروب أن تترك لي لحظة وداع .. أسرق منها حبات من نور.. أملأ لنهار جديد .. يصبرني على أنا ما فيه الآن .. الظلام يخوفني ويكاد يقتلني .. بين اللحظة وأخري يزداد ثأري، ناري، انتقامي .. فبرغم الحنين والحب أراني أسقط الورود وأحمل السيف.. أطفئ الشموع وأشعل النيران.. أخذ مني في لحظة روحي.. وهذا دافعي أن أمزق ألحاني وكل قصائدي .. وأمسك بيدي دفاتر ذكرياتي أبكي بين سطوره .. بعد ما صارت كل الأحلام رماداً.. ولا أكفر بقدري وأتحلى بالصبر.. أصبحت أنا لا أنا.. وأنا أتمني أن أعود من بين الأمواج والعواصف إنساناً كما كنت.

******

- 12 -

داخل دار المسنين ينفذ "أحمد المسلم" وعده، يصل المال إلى والدة سلمى الجالسة معه في صالة الاستقبال حولهما العاملون والنزلاء وذووهما **قائلاً قبل أن ينصرف:**

- لا تنسي الميعاد في السادسة مساءً.

"الأم":

- لا تقلق.

"أحمد":

- اتفقنا .. عن أذنك.

يسير "أحمد" خطوتين فنادت عليه الأم فوقف "أحمد" وعاد لها، **نظرت إليه بغمرة حنان قائلة:**

- الله ينصرك يا بني.

شرد "أحمد" لثوانٍ بمعنى الدعوة، وضع يده اليمنى على كتفها يشكرها بإحساسه الموجوع دون أن يرسم ابتسامة وكأنه أصبح إنساناً من صنع الأحزان، تركها صامتاً متجهاً إلى مشرف الدار، أخذه "أحمد" مبتعداً عن العاملين **يقف بأحد الجوانب قائلاً:**

- أتمنى أنك تنسي وتُخبر الكلب الذي جعلك جاسوساً هنا لهذه السيدة أن أحد يأتي إليها .. وقتها لن ينفعك أحد.. وإن كنت لا تعلم ماذا نفعل مع أمثالك فعليك أن تجرب بنفسك وتبلغ الكلب أن أحداً يأتي هنا.. أقسم لك لن ترى الشمس مرة أخرى.

مشرف الدار برهبة:

- حضرتك أنا وعدتك أن لن نبلغ أحداً وكل ما تأمر به مُطاع.

أخرج "أحمد" المال يعطيه لمشرف الدار الذي يرفض خائفاً:

- وفر مالك يكفي فقط رضاك عني.

"أحمد":

- أنصحك تأخذه لأنه سيكون هذا آخر مال قد تحصل عليه نحو هذه السيدة.

أخذ المال وتركه "أحمد المسلم" ثم يتذكر شيئاً:

- أكيد هذه السيدة كل ما تطلبه متاح.

مشرف الدار:

- بالطبع كلنا هنا في خدمتها.

خرج "أحمد" من الدار متجهاً للكورنيش بسيارته، يمر على كوبري قصر النيل يتحدث في الهاتف مع "سلمى":

- لا تنسي ميعادنا الساعة السابعة مساءً.

تتحدث معه "سلمى" داخل غرفة نومها بجانبها "كريم" يكتب الواجب وعلى وجه "سلمى" علامات الاندهاش فسألته:

- ماذا سنفعل؟ لم أفهم شيئاً.

وقف "أحمد" في زحمة سير قائلاً:

- الموضوع مهم جدا وأرجوكِ ثقي في ولا تتأخري عن الميعاد .. التذاكر سوف تجدينها باسمك على باب المركب.. لكن لابد أن يكون معك "كريم".

تزداد علامات الفضول:

- ممكن تفهمني أي شيء.

"أحمد":

- مدام "سلمي" لقد احترمت وفاءك لزوجك وحبكِ له.. لكن هذا الميعاد ضروري أن تقابليني فيه وأن يكون معكٍ "كريم".

"سلمى" بعد عدم إيجادها سبباً للجدال سألته:

- الحرس ماذا سأفعل معهم؟.

"أحمد":

- لا تنشغلي بهم.

"سلمى" قبل إنهاء المكالمة:

- لكن حضرتك لم تقل ماذا فعلت مع أمي؟.

خرج "أحمد" من دائرة الزحام وانطلق بالسيارة قائلاً:

- كل شيء سوف تعرفينه في وقته.

وضعت "سلمى" الهاتف بعد انتهاء المكالمة التي غيرت حالها وجعلتها في حالة قلق تسير تفكر في مكالمة "أحمد" لثوانٍ، فتبتسم وتجلس بجانب "كريم" وتطرد من رأسها وساوس الحيرة تميل على كتف "كريم" وهى تنظر على كراسة الواجب:

- لو حصلت غداً في الامتحان على الدرجة النهائية.. سوف أخرجك لفسحة.

"كريم":

- غداً الخميس ميعاد خروجنا.

تركته "سلمى" وتبتعد عنه وهى تلومه:

- براحتك أنا غداً مرهقة ولا أستطيع الخروج.

قام خلفها "كريم" مسرعاً:

- سوف أحصل غداً على الدرجة النهائية.

"سلمى":

- اتفقنا.

مدت يدها تصافحه بقبول الاتفاق ومن سعادتها تضمه إلى حضنها وتتساءل:

- يا تري بما ينويه غداً؟.

وهذا السؤال أيضا يدور في رأسه ويكاد يلوم نفسه:

- لماذا علي فعل هذا؟.

******

- 13 -

أمام النيل على أعتاب دخول مركب كبير أتت في ميعادها "سلمى" ومعها "كريم"، خلفها ثلاث من الحراس يظهر على عينيها القلق من وجود الحراس، اقتربت من أمن المركب ولا تعرف ماذا تفعل معهم؟ لكن يمنعهم أمن المركب جميعاً من الدخول **وتقدمت "سلمى" للإمام قليلاً تحدثت مع أمن المركب:**

- يوجد لي دعوة هنا باسمي.

سألها رجل الأمن:

- مدام "سلمى".

"سلمى":

- أنا "سلمى".

رجل الأمن:

- حضرتك تفضلي بالدخول لكن السادة لن يستطيعوا الدخول .. اعتذر ليس لهم دعوة.

التفتت "سلمى" إليهم قائلة:

- ممكن تنظروني هنا ولن نتأخر عليكم.

أحد الحراس:

- سنكون هنا في انتظارك.

أخذت "سلمى" "كريم" من يده وتدخل إلى المركب تبحث عن "أحمد المسلم"، دخلت إلى المطعم ترى نصف وجه "أحمد" يتحدث مع امرأة ولكن ظهرها إلى "سلمى"، اقتربت "سلمى" والحنين يسرق خطواتها أسرع، تعرف هذه المرأة التي رائحتها تناديها، التفت "أحمد" ينظر إلى سلمى وتلتفت معه هذه المرأة التي قامت تقف وبعدها "أحمد" الذي قام يفسح لـ"سلمى" أن تقابل أمها بالحضن والاشتياق، **التي تكاد لا تصدق نفسها أنها بين أحضانها:**

- أنا لا أصدق نفسي.

"الأم":

- الشكر لأحمد بيه.

نظرت "سلمى" إليه:

- متشكرة جداً لحضرتك.

وعادت تنظر إلى أمها التي مازالت مذهولة:

- اعذريني.

قبلت يدها و"أحمد" نظره كله موجه نحو "كريم" وكأنه يرى فيه أخذ ثأره، فيرى انشغال "سلمى" مع أمها فبهدوء كاللص يأخذ "كريم" ويبتعد عنهما، **يصعد هو و"كريم" على درج السلم وكأنما يستدرجه:**

- السطح فوق.

وكأنما شعرت "سلمى" بما يجرى خلفها، تبدل حنينها إلى قلق ولهفة، **التفت يميناً ويساراً على "كريم" تسأل أمها:**

- أين كريم؟.

الأم بتعجب:

- أين سيكون ذهب ! أكيد مع "أحمد" بيه.

"سلمى":

- ذهبوا متى من هنا؟.

"الأم":

- ماذا جرى لهذا لتقلقي لهذا الحد؟.

تتجول "سلمى" بعينها في كل مكان والخوف يضرب صدرها بقوة قائلة:

- لا أعرف !.

"الأم":

- لا داعي لهذا القلق .. تعملين من وقت زيارة "أحمد" بيه لي في الدار والكل هناك يحترمني.

قامت "سلمى" واقفة على بركان من قلق وخوف، نظرت في كل مكان وتبتعد قائلة وهى لا تنظر إلا حول نفسها:

- سأبحث عن "كريم" .. لن أتأخر.

ذهبت فوراً "سلمى" واستمرت الأم جالسة في حالة ذهول من تصرف "سلمى".

فوق سطح المركب يحمل "أحمد" "كريم" على سور سطح المركب وداخل رأسه تدور به الدنيا، ساقية تلف به على كل محطة مر بها من لحظة خطف زوجته وانتحار "بدر" وقتل زوجته **ثم يأتي صوت "حسن" في أذنيه من قبل:**

- أأمل أن تحافظ على هذه الصورة ولا تقتل بيدك السبب الذي أحببتك له "نهي" وسلمت قبل قلبها عقلها وأبحرت في عشقك .. احتراماً لمشاعرها وإحساسها .. وأعرف أنك لن تخون العهد وتصونه ولن تقتل بيدك "أحمد" الذي أحببته "نهى".

وصورة زوجته وهي قتيلة أمام عينيه، مثل القمر بين النجوم تتحول عيناه إلى شعله لهيب وكأنما غمره شيطان نفسه، نظر إلى ماء النيل وكأنما يناديه الآن بإطفاء ناره التي تخرج منه. وقفت "سلمى" أمام الدرج تبحث عنهما، أمامها أحد العاملين على المركب بعد أن سألته يشير بيدها إلى السطح يدلها على ما تبحث عنه، صعدت السلم بتخوف لما يتخيله ظنها في لحظه سقوط شيء في الماء وانفجار الماء حوله والتفات الناس تنظر على هذا المنظر.

صعدت "سلمى" مسرعة على الدرج وكأنها تهرب من أحد، وصلت إلى سطح المركب تلتفت يميناً وأخذت خطوة إلى الأمام، ترى أمامها أناس كثيرة ينظرون إلى الماء ثم التفت يساراً رأت منظر تكاد لهفتها تخرج عيناها من بين أهدابها وضعت يدها على فمها تكتم صرختها قائلة لنفسها:

- "كريم".

اقتربت بهدوء وتسمع صوت "كريم"، وقفت خلف أحمد دون أن يشعر بها فسأل "كريم":

- تجيد السباحة يا "كريم"؟.

"كريم":

- لا .. وأنت.

"أحمد":

- لا.

"كريم":

- أيضا أمك تخشي عليك!.

قاطعة "سلمى" حديثهما:

- "أحمد" بيه.

التفت إليها "أحمد" فرأي لهفتها وخوفها بين عينيها فينزل "كريم" من على سور المركب وهو يبرر ما فعله:

- قولت أترككم على انفراد وآخذ "كريم" يشاهد منظر النيل.

كذبت "سلمى" إحساسها:

- أبدا لا يوجد مشكلة ولكن جدته تريد أن تجلس معه .. هيا يا "كريم".

أخذت "كريم" في يدها وعلى وجهها ملامح التردد في قول شيء لـ"أحمد"، وقفت تنظر إليه قائلة:

- أنا متشكرة جداً على كل شيء فعلته لأجلي وأنا آسفة على قلة ذوقي معك.

وكأنما يتجاهل شكرها نظراً لعدم تحمله:

- ممكن في أي وقت ترسلي المال لوالدتك وأيضا لن يمنعك أحد مرة أخرى من زيارتها.

ابتسمت "سلمى":

- الحمد لله أنني قابلتك في الوقت المناسب .. ألن تنزل.

"أحمد":

- أنا سأبقي هنا قليلاً وسوف ألحق بكِ لاحقاً.

اقتربت أكثر "سلمى":

- لا يوجد أي إحراج نهائي من وجودك معنا.

"أحمد":

- ليس هذا هو بالتحديد السبب .. أنا مضطر أقوم بمكالمة مهمة .

"سلمى":

- ونحن في انتظارك .. هيا يا "كريم".

أخذت "سلمى" "كريم" تسير لثلاث خطوات يقف "كريم" التفت إليه:

- عمو لا تتأخر.

هز رأسه "أحمد" بالموافقة، يتمنى أن يرسم على وجهه ابتسامة ولو مجاملة ولكن لا يستطيع دفة الحزن أقوى منه .

لمحت "سلمى" ملامح وجه "أحمد" المتجمد وأكملت سيرها وعند أول الدرج السلم وقفة تنظر لثانية على "أحمد" الذي ركن على السور ولا ترى منه إلا ظهره، فنزلت واستند أكثر يميل للسقوط لا يعلق إلا بدموعه ليفيض على

النيل ماء، **استمر طويلاً شارداً فنسي نفسه في مكانه ولا يشعر به إلا والدة "سلمى" تسأل عنه "سلمى":**

- كل هذه مكالمة . تأخر كثيراً!.

"سلمى":

- ربما مكالمة مهمة.

"الأم":

- لكن لم تخبريني كيف تعرفت عليه؟.

"سلمى":

- صدفة.

الأم بإحساسها:

- لكن إحساس غريب أحسه كلما انظر في عينيه وكأنما يحمل حزناً أكبر من تحمله.

"سلمى":

- هذا ما يقلقني تجاهه.

دخل عليهما "أحمد" يجلس وهو يضع يده على رأس "كريم" دون أن يبتسم قائلاً:

- آسف على التأخير.

الأم:

- أكيد يا بني كانت مكالمة مهمة؟.

وعين "سلمى" عليه تضع علامة استفهام من شكل وجهه الذي يشبه الليل في آخره قائلاً:

- فعلاً مكالمة مهمة.

"سلمى":

- تتصور يا "أحمد" بيه أنا إلى الآن لم أعرف ماذا تعمل؟.

"أحمد":

- أنا أعمل ...

باندهاش سألته:

- نسيت ماذا تعمل؟.

"أحمد":

- أنا وكيل للنائب العام.

في آخر هذه السهرة طلب "أحمد" من "سلمى" أن تخرج هي و"كريم" قبلهما من المركب، قامت وانتظرت "كريم" من أن ينتهي من احتضان جدته الذي طال، **واقفة أمام "أحمد" قائلة:**

- أنا لن انسي هذا الجميل منك أبداً.. وممكن بعد أذنك يا "أحمد" بيه أن توصل أمي.

أجابت عنه الأم لترفع الإحراج عنه:

- لا داعي أن تحمل همي أنا أستطيع العودة بمفردي.

أجاب "أحمد" وهو ينظر إلى "كريم":

- أكيد أنتِ لم تطلبي مني أن آتي بها إلى هنا.

ناظراً إليها:

- لا تنشغلي بعودتها.

وكأنها لا تعرفه فتتركه "سلمى" تودع أمها وتأخذ "كريم" الذي يبعد عنها ويقبل "أحمد" الجالس في وجهه ثم يعود إلى أمه، نظر إليه "أحمد" بعد أن رحلوا

وهو يرتجف من هذه القبلة وكأنه شعر أنها من ابنه نافخاً في الهواء غبار الأحزان يضع يده على مكان القبلة يتحسسها **فسألته الأم:**

- ما بك يا بني؟.

نظر تحت قدمه وكأنه يهرب بعينيه من تساقط قطرات الدموع أمام أحد قائلاً:

- لا شيء أشعر فقط بصداع.

ينهض وهو لازال يهرب بعينيه حتى من الناس حوله قائلاً:

- هيا لأوصلك.

قامت خلفه قائلة:

- تفضل أنت يا بني وأنا سوف أستقل سيارة أجرة.

أجابها وهو في مكانه لا يلتفت إليها:

- حضرتك في طريق عودتي.

وذهب وهى خلفه تسير يقلها إلى الدار والصمت بينهما هي اللغة التي يتحدثان بها سوياً يصل أمام الدار، فتفتح "أم سلمى" باب السيارة **وأنهت لغة الصمت قائلة:**

- النسيان يظل مستحيلاً للإنسان الذي لا يؤمن بقدره لأنه غير راضٍ عن قضاء ربه.

خرجت من السيارة فنظر إليها "أحمد" بعد ثوانٍ يراها تدخل الدار، يعود النظر أمامه ثم يقود السيارة فيرن هاتف زوجته المحمول **ويجيب دون أن ينظر على رقم المتصل:**

- آلو.

تكون سلمى وهى تخرج من سيارتها في حديقة الفيلا وتحدثه على خجل:

- "أحمد" بيه.

سألها:

- من معي؟.

اندهشت "سلمى":

- أنا "سلمى".

"أحمد":

- تفضلي.

"سلمى":

- كنت أريد أن أطمئن على أمي.

"أحمد":

- اطمئني هي الآن داخل الدار.

"سلمى":

- شكراً لحضرتك مع السلامة.

أنهت المكالمة وبقيت مع نفسها مذهولة قائلة:

- ربما تخيل أنني معجبة به!.

مع باقي هذه الليلة "مصطفي زهران" يقود بنفسه سيارته المرسيدس وبجانبه المحامي يتحدث "مصطفي زهران" في هاتفه:

- أنا جاهز في الميعاد ولو حدث أي جديد تبلغني به على الفور .. لا شكراً سيادتك.

انتهت المكالمة فسأله المحامي وهو مستاء:

- ماذا كان يريد منك؟.

يغرق لحظة "مصطفي زهران" في بحر التفكير قائلاً:

- ابدأ في تصفية المجموعة يا "كمال".

المحامي:

- مازلت مصمماً في ترك البلد.

"مصطفي زهران":

- لم يعد لي شيء يربطني بها أنا سوف آخذ "كريم" وأكمل معه الباقي من عمري.

المحامي:

- ومدام "سلمى"؟.

"مصطفي زهران":

- سوف أحاسبها فيما بعد .. بعد ما أنهي على "أحمد المسلم" وأمحو اسمه من الوجود .. طوال ما هو يتنفس أنا أعيش في نار.

المحامي:

- لا نريد فتح أبواب جديدة علينا.

"مصطفي زهران":

- بالعكس كل الأبواب المفتوحة ستغلق بموته.

المحامي:

- هذه المكالمة كانت لها علاقة بـ"أحمد المسلم".

"مصطفى زهران":

- نعم .. لكن الأهم الآن جهز اتصالاتك العملية في ميعادها.

المحامي:

- وفيما بعد.

"مصطفى زهران":

- لا شيء كل واحد منا سيذهب لحال سبيله .. وخذها مني نصيحة المال الذي جمعته تستطيع العيش به مرتاحاً في أي مكان في العالم .. أم أنت مازلت مصمماً على مشروع القرية السياحية؟.

المحامي:

- القرية السياحية حلم العمر.

"مصطفي زهران":

- في حياتنا أحلام كثيرة علينا أن نستيقظ منها سريعاً قبل أن تصبح كوابيس.

****

- 14 -

داخل محطة مترو الأنفاق ينزل "أحمد" على السلم الكهربائي متجهاً إلى الرصيف، تنتظره على رصيف المحطة "سلمى" الواقفة في انتظاره في قلق، أتي قطار المترو إلى المحطة في وصول "أحمد المسلم" وكأنه على ميعاد معه وقف القطار وفتح أبوابه فتخرج الناس وتدخل.

سألها "أحمد":

- سندخل.

هزت "سلمى" رأسها بنعم وظهر التردد عليها في الدخول فقدمها "أحمد" في الدخول:

- بعدك.

أغلق القطار أبوابه بعد دخول "أحمد" مباشرة، يقفان أمام الباب ويسير القطار وتبدأ "سلمى" بخجل الحديث:

- أنا يا "أحمد" بيه لا أنكر كل ما فعلته معي أنا وأمي .. لكن أنا...

قاطعها "أحمد" بإشارة من يده:

- مدام "سلمى" لا داعي للإحراج أو الشعور بالذنب أنا كل ما فعلته معكِ .. أبعد بكثير عما يدور برأسك.. أنا لا أستغل ظروف أحد كي أصل له ولا كنت أتمنى أن أظهر في حياتك.

باندهاش سألته:

- ولماذا فعلت معي كل هذا.

"أحمد":

- قدرنا نتقابل ونظهر في حياة الآخر صدفة.

يقف القطار ويفتح أبوابه وتتدافع الركاب نزولاً وصعوداً، يتوقف الحديث بينهما وتقف "سلمى" خلف "أحمد المسلم" تحتمي في ظهره من كثرة هجوم الناس، يُغلق الباب ويسير قطار الأنفاق، حاولت "سلمى" أن ترجع تقف بجانب "أحمد"، لكن غيرها أخذ مكانها فاستأذن لها "أحمد" الرجل الذي أخذ مكانها وعادت تقف بجانبه وفتحت حقيبة يدها أخرجت له **قائلة:**

- هذه تكاليف ما صرفته في المركب.

نظر "أحمد" إلى المال بكل احتقار قائلاً:

- هذا المال أنا لم أقبله من قبل ولن أقبله وأعلم أن سبب لقائنا ليس هذا بالتحديد .. مدام "سلمى" لم تبدأ حكاية فيما بيننا كي نضع لها الآن نهاية .. كل ما كان بيننا موقف وانتهى وكأنني لم أظهر بحياتك من قبل.

"سلمى":

- أنا آسفة لا أستطيع أن أعطيك شيئاً آخر.

"أحمد" ناظراً لها متعجباً:

- لا تعتذري!.

فنظر إليها بعمق:

- بالعكس أنا أود أن أشكرك؛ لا تتعجبي! كان سيموت شيء بداخلي وأنتِ أنقذتني .. وحينما رأيتك.. رأيت فيكِ صورة جميلة أنا استوحيتها لنفسي منك.. هي إحساسك بالذنب لذكرى جميلة بداخلك وأيضا إصرارك على مقابلتنا هنا في المترو وليس كما كذبت أن سيارتك بها عطل.

"سلمى":

- أنا كنت ...

أجاب عنها:

- كنتِ خائفة ! خائفة على ابنك من بطش جده ليفهم علاقتنا خطأ ويحرمك من "كريم" وخائفة على ذكرياتك الجميلة مع زوجك.. أنا سوف أبعد عنكِ مع أنني لا كنت أريد أن أقترب منك.

دخل مترو الأنفاق المحطة واستعد "أحمد" للخروج يتابع:

- كلنا في هذا الكون نضحي وأنا ضحيت لأجلك.

وقف القطار وفتح أبوابه وأراد الركاب من خلفهما الخروج؛ **قال:**

- تذكري دائما أنني لم أؤذكِ.

أطلق القطار إنذار غلق الأبواب وقبل أن يغلق الباب يخرج "أحمد" مسرعاً وسط الزحام تاركاً على وجه "سلمى" ألف سؤال على كل سؤال مجموعة من الألغاز.

يسير القطار وعين "سلمى" عليه وتقترب أكثر من الباب لتلمحه أكثر وهو في اتجاه يسير لا يلتفت خلفه، يسير في اتجاه الخروج من كل شيء، كانت آخر نظرة لها تجاهه وهو يصعد أولى درجات السلم الكهربائي.

خرج "أحمد" من محطة القطار ينتظر سيارة أجرة، فيستوقف في الطريق المعاكس سيارة أجرة فيشير له ويعبر الطريق دون أن ينظر على يمينه، تقف سيارة أمامه كادت تصدمه، اعتذر بيده وأسرع إلى السيارة الأجرة عاد "أحمد" إلى محطة قطار الأنفاق التي بدأ منها نهاية علاقته بـ"سلمى"، رن هاتف زوجته المحمول نظر على رقم المتصل يجد المتصل "حسن" ويرى بجانبه في الشارع سيارة زوجته فيضع يده على كتف السائق.

وقفت سيارة الأجرة وقام بالرد على "حسن" بعد ما دفع الباب وخرج:

- ألو أنا أيضا محتاج أجلس معك.. أنا قريب من المقهى عشر دقائق وسوف أكون هناك.

أنهى المكالمة وصعد السيارة وقبل أن يديرها يفتح "تابلوه" السيارة يخرج المسدس وينظر فيه بملامح قاتمة، يتأكد أنه محشو ثم يعيده مكانه.

داخل المقهى جلس "حسن" بملابس كاجوال أمامه شيشة يدخنها، دخل عليه "أحمد" فيجلس قائلاً:

- ألا تنوى أن تقلع عن التدخين.

نفث "حسن" دخان الشيشة قائلاً:

- **أرجوك كفي وعظ "هبة" لي.**

"أحمد" باندهاش:

- حتى في المنزل يا "حسن"!.

تتغير ملامح وجه "حسن" مثل الأطفال:

- حطمتها "هبة".

يشير "حسن" إلى النادل لكنه يتجاهل "حسن" ويذهب إلى أناس آخرين فسأله "أحمد":

- أمازلت تأتي هنا؟.

"حسن":

- أهرب قليلاً من هموم العمل والبيت.

أتي النادل بعد أن أهمل نداء "حسن" لزبائن أخرى يسألهما:

- أي خدمة؟.

"حسن":

- قهوة مظبوط وشاي سكر زيادة.

النادل:

- شيء آخر.

"حسن" ساخراً:

- أتري ثالثاً معنا؟.

ذهب النادل ونظر "أحمد" إلى "حسن" متعجباً:

- أتمنى أكون مثلك أقدر أفصل الساعات عن بعضها البعض.

"حسن" بمزحة:

- ممكن إن نزعت عنها البطارية.

فضحك "حسن" وهو يخرج من فمه الدخان قام "أحمد" غاضباً قائلاً:

- عن إذنك.

قام "حسن" يمسك في "أحمد" قائلاً:

- أنا آسف، اجلس.

جلس "أحمد" وحسن ينظر إليه مبتسماً، نظر إليه "أحمد" مندهشاً من سر الابتسامة هز "أحمد" رأسه قائلاً:

- مستحيل يتغير فيك شيء من أيام ما كنا في الكلية وأنت على هذا الحال.

"حسن":

- الحياة أبسط مما نتخيل.

جاء النادل ينزل الشاي والقهوة وجاء من خلفه "عماد الحسيني" قائلاً:

- مساء الخير يا "أحمد" بيه.

نظر إليه حسن بتعجب يريد أن يعرف من هذا؟

"عماد الحسيني":

- ممكن أجلس.

"أحمد":

- لو قلت لا ! لن تجلس!؟.

"حسن":

- من أنت.

"عماد الحسيني":

- أنا يا "حسن" بيه الرائد "عماد الحسيني" وزارة الداخلية.

وجلس ونظر "حسن" إلى النادل يرى على وجهه الاندهاش الذي لايزال واقفاً فيطلب "عماد الحسني" من النادل كوب شاي خفيف السكر فقبل أن يذهب **قال له "حسن" بسخرية:**

- أعتقد هذه المرة لن تتأخر علينا.

عدل "أحمد" من وضعه وسأله:

- أنا مراقب؟.

"عماد الحسيني":

- ليس بهذه الصورة يا "أحمد" بيه والسيد المحامي العام أمرني من قبل ألا افتح معك أي تحقيق نظراً لظروفك الخاصة .. لكن قريباً سوف يستدعيك في مكتبه.

"حسن":

- وحينما أمرك السيد المحامي العام ألا تفتح أي تحقيق سيادتك هنا لماذا؟.

"عماد الحسيني":

- هذا لا يمنع أن أجمع معلومات و ..

وسكت لدخول النادل ينزل له الشاي ويغير الشيشة، نظر "حسن" إلى النادل مندهشاً على سرعته هذه المرة قائلاً:

- لم تتأخر هذه المرة!

النادل:

- نحن في خدمة الشرطة يا "حسن" بيه.

ذهب النادل وتابع "عماد الحسيني" حديثه:

- أعلم أنكم أصحاب قبل أن تكونوا زملاء وأنك يا "حسن" المسئول عن قضية مدام "نهى" .. لذلك أنا سوف أتكلم مباشرة.

"أحمد" ساخراً:

- فعلاً ضابط ماهر جمعت عني معلومات خطيرة!.

"عماد الحسيني":

- ما هي علاقتك يا أحمد بيه بمدام "سلمي" زوجة.....

أكمل له "أحمد" وكأنه ليس منصدماً من تحرياته:

- زوجة ابن "مصطفى زهران".

لكن الذي صُدم كان "عماد الحسيني":

- توقعت أنك سوف تنكر.

نظر "أحمد" إلى "حسن" سأله بسخرية:

- هي الفترة الماضية التي لم أحضر فيها العمل تمت إضافة أي مادة تمنع العلاقات في البلد؟.

أجابه وهو ينفث دخان الشيشة:

- أنا تارك المكتب للتو ولا أعلم إن كان هناك مادة قد تمت إضافتها أم لا .. أظن إن طبق هذا القانون سوف نتعرض للحبس!.

ابتسم "عماد الحسيني" وأجابه:

- أكيد أنا لا .. لكن أمامي ثلاثة احتمالات لعلاقتك بمدام "سلمي" .. أولها أن تكون علاقتك بها عاطفية وخاصة أن زوجها متوفى منذ سنوات.

قاطعه "حسن":

- أدخل في الاحتمال الثاني قبل أن أشك في اختيار وزارة الداخلية في ضباطها.

وعاد :حسن: يدخن الشيشة، نظر إليه "عماد الحسيني" ثم عاد ينظر في اتجاه "أحمد" قائلاً:

- "كريم" .. الاحتمال الثاني هو "كريم".

وانتظر "عماد الحسيني" الجواب منه، شعر وكأنما فجر مفاجأة، نظر "أحمد" إلى "حسن" الذي أذهل بالسؤال منتظراً هو أيضا جواب "أحمد"، **فأخذ "أحمد" رشفة من فنجان القهوة وناول كوب الشاي إلى "عماد الحسيني" يجيبه بسؤال:**

- وتعتقد ما السبب يا حضرة الضابط حتى أحرق قلب مصطفى زهران على حفيده؟.

وقف "أحمد" موجهاً حديثه إلى "حسن" الذي ابتسم بسخرية من جوابه وهو يحدق النظر على "عماد الحسيني" قائلاً:

- لا تجعل حضرة الضابط يدفع حساب الشاي.

أتى "أحمد" كي يرحل وقف أمامه "عماد الحسيني" قائلاً:

- ألا تنتظر لتعرف الاحتمال الثالث؟.

"أحمد":

- احتفظ به لنفسك.

تركه ورحل فنظر "حسن" إلى "عماد الحسيني" وبكل هدوء وهو يدخن الشيشة قائلاً:

- اقترح تأجيل الاحتمال الباقي أمام المحامي العام.

"عماد الحسيني":

- أنت مخدوع في صاحبك.

"حسن":

- هذه مشكلتي.

يشير "عماد الحسيني" إلى النادل ليدفع الحساب، يمنعه "حسن" قائلاً:

- ألم تسمع ما قاله صاحبي؟! إن تحب أن تكمل كوب الشاي فليس عندي مانع.

تركه "عماد الحسيني" وعاد "حسن" يدخن الشيشة .

داخل هذه الليلة يقود "أحمد" سيارة زوجته على الطريق السريع بسرعة هادئة، راكناً بيده على فتحة الشباك ورأسه يفكر، فيلمح في المرآة من خلفه سيارة نصف نقل بها اثنان تمر من بين السيارات بسرعة جنونية .

انتبه "أحمد" وكأنما يعلم أن هذه السيارة تريد أن تلحق به، تقترب السيارة النصف نقل من سيارة "أحمد"، وأكثر شيء يخاف عليه الآن هي السيارة .. أكثر من حرصه على نفسه، من خلفه السيارة الأخرى تحاول الاقتراب، حاول الفرار لكنها تقترب عن يمينه بنفس السرعة الزائدة، يتفادى "أحمد المسلم" السيارة فتصدم المرآة الجانبية الخاصة بسيارته وتنكسر فيغضب بشدة **ويظهر هذا في ألفاظه:**

- يا كلاب.

سحب من "التابلوه" المسدس ويبدأ يخفض من سرعة سيارته وعندما عادت تقترب السيارة النصف نقل على سرعتها الجنونية، ضغط "أحمد" على كابح سيارته وأطلق الطلقات في إطار السيارة النصف نقل مما يخل اتزانها.

وبسبب كبح "أحمد" السيارة فجأة ترتبك جميع السيارات من حوله ليتحول الطريق إلى فوضى ومع عدم اتزان السيارة النصف نقل تتجه بجانب الكوبري وتكاد تقف، خرج "أحمد" من سيارته مسرعاً متجهاً نحوهما في يده المسدس.

يفاجأ بقدوم شاحنة نقل كبيرة لازال سائقها يحاول السيطرة على الشاحنة ويده على آلة التنبيه.

يتفادى السيارات بصعوبة وعدم اتزان، بعد عنها "أحمد" وعيناه عليها يراقبها، يجدها اقتربت من السيارة النصف نقل التي لازلت في مكانها بعد ما استقرت بجانب سور الكوبري .

وسائق شاحنة النقل يضرب بكل قوته آلة التنبيه ويضغط على المكابح . وفي لحظة أغلق "أحمد" عينيه من صعوبة رؤية دخول الشاحنة في السيارة النصف نقل، يفتح عينيه بعد لحظة من اصطدام السيارتين ليرى المشهد كله مع باقي الجمهور.

لقد أزاحت الشاحنة السيارة النصف نقل من فوق الكوبري وأسقطتها واستقرت مكانها الشاحنة، ثم سمع انفجار السيارة النصف نقل بمن فيها ركض "أحمد" مع بقية الناس الذين أوقفوا سياراتهم ينظرون إلى هذا الحادث البشع .

نظر "أحمد" وعيناه تزداد بريقاً من النار وكأنما يشبع من انتقامه قائلًا لنفسه:

- أكيد رأيتموها وهى تُقتل وربما أحدكما هو الذي قتلها.

أتت دورية الشرطة تدخل المكان وبدأ الكل ينسحب ومعهم أحمد، ذهب إلى سيارة زوجته يتفحص مكان المرآة المكسورة، يرى بقية زجاجها المكسور يجمعه ويضعه في يده يطبق عليه بشدة وكأنما لا يهون عليه أن يرميه، فيفاجئ بدم في يده من الزجاج لا يبالي لدمائه، صعد السيارة ووضع الزجاج المكسور بجانب المسدس في "التابلوه"، أخذ منديلاً يكتم به الدماء.

عاد إلى شقته يكاد بعد دخوله مباشرة يقرع جرس الباب يعود يفتح الباب يجد أمامه الضابط "أكرم".

"أكرم":

- مساء الخير.

"أحمد":

- أهلاً يا أكرم ... تفضل.

دخل "أكرم" الشقة ونظر على جمال الديكور ينبهر به، يأتي من خلفه "أحمد" بعد أن أغلق الباب يرى "أكرم" دماء في يده فسأله:

- ما هذا الدماء.

"أحمد":

- لا عليك.

"أكرم":

- قلت اسأل عليك .. منزلك جميل واضح أن ذوقك في الاختيار رائع.

"أحمد" وهو ينفث تنهيدة ألم:

- كل هذا اختيار صاحبته .. اجلس يا "أكرم".

"أكرم":

- معي خبر ممكن يفرحك.. "مصطفي زهران" قام بتصفية كل أعماله وسوف يغادر البلد.

فزع "أحمد":

- ماذا تقول؟ هذا هو الخبر الذي سوف يفرحني!.

"أكرم":

- انتظر واهدأ .. لي زميل في شرطة الآثار علمت منه عن طريق الصدفة احتمالية تسليم "مصطفي زهران" لصفقة آثار مساء الغد.

"أحمد":

- احتمال! الشرطة تتخيل يا "أكرم".

"أكرم":

- التحريات تؤكد .. لكن فيه شك.

"أحمد":

- ربما كما قلت يكون احتمالاً وبعدها يهرب خارج البلاد.

"أكرم":

- لا تسابق الأحداث كلها غداً وربما يقبض عليه.

"أحمد":

- وربما يهرب.

يسير "أحمد المسلم" خطوتين للأمام يفكر ثم يقف يسأل "أكرم":

- أنت أكيد تعلم مكان وميعاد العملية؟.

"أكرم":

- لماذا؟.

"أحمد":

- متى يا "أكرم"؟.

"أكرم":

- أحمد بيه هذه أسرار ومسئولية وأنت تعلم هذه المرة وزارة الداخلية تبحث عن كل كبيرة وصغيرة وأن "عماد الحسيني" لا يفوت شيئاً عنك وعن "مصطفى زهران".

"أحمد":

- لا تقلق أنت بعيد يا "أكرم".

"أكرم":

- ممكن أعرف ما ستفعله عندما تعلم.

"أحمد":

- متى وأين يا "أكرم"؟.

"أكرم":

- "عماد الحسيني" سيكون هناك.

"أحمد":

- ولو كان هناك وزير الداخلية .. الميعاد يا "أكرم".

يعطيه "أكرم" جميع المعلومات التي يعرفها وبعدها بقليل يخرج مثل الشيطان عندما يسول للإنسان الذنب ثم يتركه يتبرأ منه.

مع نفس هذه الليلة بعد أن عادت "سلمى" إلى الفيلا في انتظارها "مصطفي زهران" في مكتبه مثل الذئب الذي يدبر لها مكيدة و"سلمى" في غرفتها بين الشرفة وسرير "كريم" بين قلق وخوف، حتى إنها لا تقوم بتبديل ملابسها التي كانت عليها مع "أحمد"، مرت الساعة التي أمهلها مصطفي زهران لها وكأنها عمر آخر .

تنزل "سلمى" على درج السلم تتجه إلى غرفة المكتب وهى تتنفس القلق وربما الرعب، تقف أمام الباب ثانية ثم تطرقه وتدخل، تجد "مصطفي زهران" جالساً على مكتبه يقرأ في ملف، **قائلة:**

- إن كنت مازلت مشغولاً أنا ممكن أنتظر خارجاً لحين ما تنتهي.

رفع عينيه قليلاً وسألها:

- "كريم" نام.

"سلمى":

- منذ ساعة.

هز رأسه ثم استمر للحظات يحدق فيها بشدة وهى كالتلميذة الواقفة بين يد أستاذها **قائلاً:**

- ألم تسألي نفسك لمَ شخص مثل "أحمد المسلم" وكيل النائب العام مفرغ كل أعماله ومشغول بكِ.

ارتعشت "سلمى" خوفاً قائلة:

- "مصطفي" بيه أنا ...

أشار لها ألا تتكلم متجهاً إليها كشيطان يوسوس لها:

- انتظري حينما أنتهي من حديثي.

استمر كشيطان يلف حولها أو كالأفعى يلقي سمه:

- أعلم جيداً أن ليس لكِ علاقة به وهو من يحاول التقرب إليكِ .. لكن لماذا؟ لأنه لا يريدك أنتِ بل "كريم" .. هذا هو الرجل الذي بسببه تركت حراسة خاصة لـ"كريم" .. هذا الرجل هو "أحمد المسلم" ربما تكوني سمعتِ هذا الاسم من قبل .. هو وكيل النائب العام الذي كان يحقق مع "بدر" وطلب مني رشوة وهو السبب في انتحار "بدر" .. ومن ظلمه اعتقد أنني من قتلت زوجته وبعد أن قدمت فيه بلاغاً للنائب العام يحاول النيل مني عن طريق ابنك؛ حفيدي "كريم" وأنتِ بسذاجتك وعدم إطاعة أوامري قربته من "كريم" .. حياتك أنتِ حرة فيها ولن أقف ضدك لكن "كريم" لا .. لن أسمح لأحد التعرض إليه .

عاد "مصطفي زهران" إلى المكتب يمسك الملف الذي كان يقرأ فيه قائلاً:

- هذا الملف يوجد به كل تفاصيل "أحمد المسلم" والقضية التي تقدمت برفعها ضده.

يرمى الملف على المكتب ثم يتابع:

- أنا حذرتك من شره.

يخرج ويتركها تائهة في موج بعيد عن العقل تسأل نفسها:

- معقول!.

وتتخيل فقدان ابنها ولا تستطيع تصور الصورة تذهب تجلس على المكتب، تفتح الملف تنظر فيه تقلب في ورقه بسرعة. تغلقه وقامت تركض نحو غرفتها تطمئن على "كريم"، تسير في الغرفة والنار حولها، فتجد حقيبة يدها على السرير تأخذها وترجع إلى المكتب مرة أخرى تفتح ملف "أحمد المسلم"، تقرأ العنوان وتنظر إلى درج المكتب وكأنها تعلم ما يوجد في الدرج الأول تفتحه تجد به مسدس "مصطفى زهران".

تأخذه تضعه في حقيبة يدها وتخرج مسرعة تستقل سيارتها ومن فوقها "مصطفي زهران" خلف النافذة يرفع الستارة قليلاً يراقبها، وبعد أن يرى خروجها التي أعده بمكره يترك النافذة، يتجه نحو السرير بابتسامة كلها شر.

وما أعده يبدأ نسجه داخل شقة "أحمد المسلم" يقرع جرس الباب بشكل عشوائي، **اتجه "أحمد" إلى باب يفتحه يفاجأ بـ"سلمى" أمامه يرفع حاجباً مندهشاً:**

- من أين أتيتِ بعنواني؟.

كالمذبوحة التي تبحث عن سر قطع عنقها تسأله:

- ما ذنبي أنا؟.

تدخل الشقة ويغلق "أحمد" الباب، ويقف بعيداً عنها بثلاث خطوات يسمعها:

- لماذا ابني ماذا كان فعل لك؟.

واقتربت هي منه فأجابها وهو لا يندهش:

- أنا بعدت عنك وعن ابنك كما وعدتك.

"سلمى":

- أنت كذاب ومخادع قتلت بمنصبك وسلطتك "بدر" والدور الآن على ابني.

نظر "أحمد" على ساعة الحائط التي تجاوزت الواحدة صباحاً قائلاً:

- "مصطفي زهران" أثر على عقلك.

وضعت "سلمى" يدها في حقيبتها تخرج المسدس تشهره في وجهه:

- أنا لن أسمح لك تقتل ابني كما قتلت عمه.

"أحمد":

- لا الذي قُتل بمنصبي فعلاً هذه.

يبعد عنها، ينظر إلى صورة زوجته ويتابع:

- هذه التي دفعت الثمن .. عمرها وعمري.

لا تنظر "سلمى" إلى الصورة، تنظر على "أحمد" التي تسير خلفه على خطوات بطيئة تسمعه:

- دفعت الثمن غالياً .. لم يكن لها ذنب غير أنها زوجتي .. هي التي دفعت ثمن "بد"ر وائتمانها على نفسها معي .. وهذه هي النتيجة بعد الأحلام التي كانت أطول من الأيام .. ارحمها يارب.

"سلمى":

- وما ذنب ابني؟.

التفت إليها يصيح لحزنه:

- ذنبه أن جده هو "مصطفي زهران" .. الرجل الذي قتل زوجتي.

"سلمى":

- لهذا السبب تريد قتل ابني!.

"أحمد":

- ربما كان ما أفكر به لكن اكتشفت أنني لا أستطيع .. بعد أن اقتربت من "كريم" ومنك .. تخيلت أنني لن أحطم قلب "مصطفي زهران" فقط .. بل قلب امرأة ليس لها ذنب.

لا تستطيع "سلمى" حمل دموعها فتتساقط مع حديثها:

- لا تمثل دور الضحية.

"أحمد":

- وأنا لا أنتظر تصديقك ولا أبرئ نفسي .. ولو تريدين حماية ابنك أطلقي رصاصة في رأسي واجعليني أرتاح لقد تعبت.

"سلمى":

- أنا لست مجرمة لكن أقسم لك إن حاولت أن تقترب من "كريم" لسوف أقتلك.

ونظرت إلى عينيه نظرة الوعيد والتحدي فقرع جرس الباب ثلاث مرات، نظر "أحمد" يميناً ويساراً وكأنه يشك في أمر ما، **سألها:**

- من أين أتيتِ بعنوان شقتي؟.

عاد جرس الباب يقرع ويفزع "أحمد" في سؤاله:

- تكلمي من أين أتيتِ بعنواني؟.

قرع جرس الباب وترد "سلمى" بسرعة بعد أن شربت القلق من عينيه:

- من الملف الذي تركه لي "مصطفي زهران".

"أحمد":

- هش.

يذهب بهدوء إلى الباب ينظر من العين السحرية يرى في الخارج ثلاثة رجال يشير احدهما للآخر باقتحام الشقة، **ركض "أحمد" نحو "سلمى" يأخذها من يدها قائلاً:**

- هيا نهرب من هنا بسرعة.

واقفة "سلمى":

- لمَ؟.

أخذ "أحمد" من يدها المسدس بعد أن بدأ الثلاثة رجال في الخارج بمحاولة اقتحام الباب، ركض "أحمد" يأخذ معطفه من على الكنبة وأخذ في عودته "سلمى" من يدها متجهاً للهرب من سلم الطوارئ، اقتحم الرجال الثلاثة الشقة يتجه كل واحد منهم في اتجاه يجهز مسدسه ويضع فيه كاتم الصوت، لمح أحدهم باب المطبخ مفتوحاً فعرف أنهما هربا من سلم الطوارئ، يشير إلى الاثنين الآخرين أن يأتيا ليطارداهما .

يحاول "أحمد المسلم" أن يطير من على السلم، ينزلان بسرعة كالقطط التي تهرب مهرولة.

يراهما أحدهم من فوق أطلق عليهما طلقات الرصاص، لكنهما كانا قد وصلا إلى الشارع.

أحد الرجال المنتظرين في السيارة أنهى مكالمة هاتفية، خرج على أثرها من السيارة مسرعاً ومعه السائق يخرجان أسلحتهما في استقبال "أحمد" و"سلمى ".

أتي الضابط "أكرم" بسيارته وكأنما أتى الفارس، لمح من على بعد "أحمد المسلم" و"سلمى" يركضان في الشارع، أطلق "أكرم" صوت آلة تنبه الشرطة وأخرج مسدسه متجهاً نحو "أحمد" و"سلمى".

رأى أحد الرجال سيارة "أكرم" تقترب، يضرب بقدميه الأرض يشير إلى كل رجاله أن يهربوا.

خرج "أكرم" من سيارته ليطاردهم على قدمه فيفرون جميعاً في سيارتهم، لحق "أكرم" "أحمد" و"سلمى" يقف أمامهما يسأله:

- أنت بخير.

"أحمد":

- بخير.

"أكرم":

- تفضلوا معي في السيارة.

"سلمى":

- لا شكراً .. من الواضح يا أحمد بيه أن لديك أعداء كثيرة.

"أحمد":

- هذا من خدعك وأرسلك لي.

فوجئ "أكرم" لكن لا يسأله، يشترك فقط في الاستماع، نظر إلى "سلمى" التي تهاجم "أحمد" وكأنه السبب:

- النهاية في الآخر متشابهة .. الطيور على أشكالها يا "أحمد" بيه .

وتأتى لتذهب يقف أمامها "أحمد":

- انتظري نوصلك.

"سلمى":

- أكيد سأكون في أمان طالما أنت بعيد عني.

تنحى قليلاً عنها وذهبت، وبعد أربع خطوات التفت إليها قائلاً بصوت عالٍ:

- "مصطفي زهران" يقوم بتصفية جميع أعماله ليهرب خارج البلد .. لكن ليس بمفرده

تقف سلمى لكن لا تلتفت إليه ويتابع "أحمد":

- ومعه "كريم".

التفتت إليه "سلمى" تبتسم وكأنها تسخر مما تسمعه وتركته وذهبت إلى سيارتها، يكتشف "أحمد" أن المسدس مازال في يدها، يحاول أن ينادى عليها ليعيد لها المسدس لكنه يتردد ويخفي المسدس خلف ظهره، **اتجه "أكرم" إليه قائلاً:**

- أنت عارف طبعاً أنني مطلق وأعيش بمفردي .. تعال معي هذه الليلة.

"أحمد":

- شكراً أنا سأعود لشقتي.

يضع "أكرم" يده فوق كتف "أحمد"، يدفعه إلى السيارة قائلاً:

- دعك من هذا العناد هذا عملي قبل أن يكون واجبي عليك .. اصعد إلى السيارة يا "أحمد" بيه.

ذهب معه "أحمد" ليصعد بجانبه السيارة وقبل أن يفتح الباب سأله "أكرم":

- لمَ سمحت لها أن تكلمك بهذا الأسلوب!.

"أحمد":

- لأنها ضحية .. أنا وهى مذبوحان من سفاح واحد .. ما تفعله كان المفروض أن أفعله أنا.

صعد "أحمد" السيارة و"أكرم" من بعده يدير السيارة، فسأله "أحمد":

- ما سبب عودتك مرة أخرى؟.

"أكرم":

- قدرك يا "أحمد" .. وصراحة أكثر قلقان من لحظة ما أخبرتك وربما ندمت.

****

- 15 -

داخل شقة "أكرم" نائماً "أحمد" على السرير، يبدأ في الاستيقاظ يتقلب يميناً ويساراً، يفتح جفونه ويتثاءب بشدة يبدو عليه أنه نام طويلاً، ينهض جالساً على السرير يضع قدمه على الأرض يفرد ضلوعه فسمع صوت الأذان من الخارج تفاجأ وقام إلى النافذة، نظر من خلف الستارة لشكل النهار والذهول يحوم على تعبيرات وجهه **ينظر في ساعة يده قائلاً:**

- العصر !.

بعد عن النافذة متجهاً إلى السرير يتساءل وكأنه يعاتب نفسه:

- كيف نمت كل هذا الوقت!.

أخذ معطفه من على السرير يتأكد من وجود مسدس "مصطفى زهران" في جيب المعطف، خرج من الغرفة وهو يضع المعطف على كتفه وملامح الغضب تحتويه، ينادى على "أكرم" ثلاث مرات متعاقبة ولا يسمع لصدى صوته جواباً، نظر حوله رأى على الطاولة كوباً تحته ورقة سحب الورقة من تحتها **قرأها بصوت عالٍ:**

- خرجت لمأمورية مستعجلة.

يطبق "أحمد المسلم" الورقة بين يده ويرميها تحت قدمه، يتجه إلى باب الشقة وهو يرتدى معطفه يقول لنفسه:

- لازال يوجد وقت.

فتح الباب وخرج يغلقه بقوة، يقف داخل مكاتب الاتصالات بعد أن اشترى شريحة اتصال جديدة يقوم بعدة مكالمات مجهولة، يبلغ فيها عن "مصطفى زهران" في عدة أماكن مختلفة، كل مكان غير الآخر بما فيها مكان العملية مما يضلل الشرطة أكثر بعد أن قام بتبليغ كافة الأجهزة الأمنية المختلفة داخل وزارة الداخلية وذهب هو للعنوان الصحيح داخل المقابر .

بعد نصف الليل والقمر عن هذه الليلة غائب بنجومه، الظلام عميق لا يرى فيها كف اليد وهمس الصوت، وقف "مصطفي زهران" أمام مقدمة السيارة، معه مدير أعماله بيده حقيبة المال تدخل عليهم سيارة حمراء تقف على بعد مترين من أمامهم، خرج منها الرجلان في يد أحدهما حقيبة الآثار، **حقيبة كتف صغيرة يقتربان من "مصطفي زهران" يقفان أمامه فيسألهما:**

- أين هو؟ لمَ لم يأتي بنفسه؟.

ابتسم الرجل الذي لا يحمل الحقيبة قائلاً:

- أعلم أنك في أوج غضبك منه.

"مصطفي زهران":

- سوف أحاسبه على فعلته هذه.

هذا الرجل:

- "مصطفي" بيه ما فعله كان في مصلحتك قبل الجميع وعندما تقابله ستتفهم وجهة نظره.

"مصطفي زهران":

- ليس هذا وقت الحديث في هذا الشأن.

ونظر إلى مدير أعماله يأمره بإعطائهم المال، يفتح الحقيبة يظهر لهم المال، ويقفلها.

هذا الرجل:

- ألا تتأكد قبل من الآثار؟.

"مصطفي زهران":

- وهل هذه أول مرة!.

هذا الرجل:

- لكنها آخر مرة.

"مصطفي زهران":

- أكيد لن أكون سبباً في توبتكم !

أخذ الرجل الحقيبة من مدير أعمال "مصطفى زهران" فدخل "أحمد" كالبلاء عليهم مشهراً مسدسه في الكل قبل أن يتسلم مدير أعمال "مصطفي زهران" حقيبة الآثار، نظر "أحمد" إلى الرجل الذي أخذ حقيبة المال. **سأله:**

- لو أخبرتك أن حياتك متعلقة بنزول الحقيبة من يدك على الأرض .. ستوقعها؟.

هز الرجل رأسه مجيباً "لا" ورفع يده الاثنين كالتلميذ المعاقب في الفصل، اقترب "أحمد" خطوة من "مصطفي زهران" يجعل الكل أمام عينيه، **يسأله بغل النار التي تحرق صدره:**

- لماذا قتلتها؟.

ركن "مصطفي زهران" على مقدمة السيارة لا يخشى "أحمد" قائلاً:

- مثلما قتلت ابني.

"أحمد" في أوج غضبه:

- ليت المعادلة كانت هكذا .. كنت لا أنتظر لحظة في هذه الدنيا أو أتعب كلباً مثلك في محاولة قتلي .. وإياك أن تظن أنني هنا لأعاتبك فات أوان العتاب .. لكن لك معي رسالة من حقك تعرفها .. هذه الرسالة من "بدر" ابنك قبل أن ينتحر بدقائق.

يقف "مصطفي زهران" باعتدال واستقامة، ونظرات عينيه صاغية له.

"أحمد":

- من قتل "بدر" وقتل شبابه؟ وبذنبه.

وصاح فيه:

- أخذت مني عمري وعمر ابنك .. "بدر" اتهمك أنك سبب ضياعه في الحياة .. حرمته من الإنسانة التي كان يتنفس من وجودها الحياة .. وعندما لوثت هواه وخضت بشرفه وكرامته مع زميلها في العمل .. لم يتحمل لعبتك الدنيئة مع أنه كان يعتقد أنك لا تعرف بسر زواجهما.

ابتلع "مصطفي زهران" في ريقه وينتبه جيداً وكأنه يجمع في خيوط جديدة ينسجها لماضٍ جديد وكأنما يبنى الحاضر الغائب **وحديث "أحمد" كهطول الأمطار:**

- ولا أدرى إن كان مازال حياً ورأى ما أراد أن تفعله في زوجة أخيه .. كان ربما فكر ألف مرة فيمن يستحق الموت؟ .. لكن إنسان حقير مثلك لا يتعجب أحد من أفعاله .. إن كنت نظرت في عيون ابنك وهو ملقى على الأرض بين دمائه.

من شدة انفعال "أحمد" تهتز يده بالمسدس وكأنما يشرح بها الدرس والرجل الذي يرفع الحقيبة، يحاول أن يبدل يده ليرتاح فنظر إليه "أحمد"، فيعرض الرجل عن المحاولة **قائلاً لنفسه وكأنما يصبرها:**

- تحمل.

وضغط على فك أسنانه من شدة الألم ويتابع "أحمد":

- كنت عرفت من القاتل ! وبرغم كل هذا للأسف ابنك مسامحك لم يستطع كرهك.. أكثر إنسان كرهه هو نفسه .. بعد أن فقد بيده حبيبته وروحه

وكل حياته.. لم يجد نفسه أغلى منها ولم يعط الفرصة لنفسه ليعيش الحياة من غيرها.. لكن أنا لن أسامحك من دم زوجتي وابني الذي لم أره .. ولو بيدي أقتلك ألف مرة لن أتردد .

"مصطفي زهران" وكأنه لا يصدق ما سمعه قائلاً:

- أنا لم أكن على علم بزواج "بدر" إلا بعد وفاته.

"أحمد":

- خائف؟.

"مصطفي زهران":

- أنت الخائف.

"أحمد":

- حقاً كنت خائفاً فقط إن لم ألحق بك وتعيش ليلة أخرى .. وسوف أقتلك وبمسدسك هذا .. أكيد تعرفه جيداً ولا أحد يستطيع اتهامي .. لأن الشرطة الآن سوف تقتحم المكان ويضيع دمك.

"مصطفي زهران":

- أنا منتظر .. لكن أنت جبان.

"أحمد":

- ربما أكون جباناً .. لكن هذه المرة خاب ظنك فيَّ.

الرجل الذي يحمل الحقيبة لم يعد يتحمل القدرة على رفعها فيضعها فوق رأسه ويسندها بيده الاثنين، لا يعلق "أحمد" عليه ويتركه **فيرد عليه الرجل بصوت خفيف:**

- شكراً.

وأخذ نفساً عميقاً يحبسه في صدره وعاد "مصطفي زهران" يتابع:

- وأنا أيضا أحمل لك رسالة من زوجتك.. وشيء آخر مهم أن يوجد حولك رجال يستحقون الموت.

تقدم "أحمد" خطوة ملئيه بالحنين فسأله:

- ما هي الرسالة؟.

أجابه الرجل الذي كان يتحدث مع "مصطفي زهران" وكأنه يريد إسدال الستار على الأحداث قائلاً:

- مازلت يا "مصطفي" بيه مصمماً اللعب به.

نظرات "أحمد" تتوزع بين "الرجل" و"مصطفي زهران" فتظهر أضواء سيارات الشرطة من بعيد **فصاح "أحمد":**

- ما هي الرسالة؟.

لمعت عين "مصطفي زهران" من أضواء الحقيقة وسيارات الشرطة قائلاً:

- أنا وأنت تم خداعنا.

حاول "مصطفي زهران" إخراج باقي الكلمات لكن هذا الرجل أطلق رصاصة في صدر "مصطفي زهران"، أسقطه قتيلاً قبل أن يتكلم وندم هذا الرجل على عدم امتلاك غضبه، ركع "أحمد" إلى "مصطفي زهران" يهزه بقوة وكأنما يريد ثواني من عمره ليعرف منه الرسالة؟.

هرب مدير أعمال "مصطفي زهران" إلى الرجل الذي يحمل حقيبة المال ولكمه وأخذ منه الحقيبة، لمحه "أحمد" فأطلق الرصاص على الرجل الذي قتل "مصطفي زهران" الذي هرب واحتمى خلف سيارته.

وعين "أحمد" على مدير أعمال "مصطفي زهران" لحقه من الناحية الأخرى، ينقض عليه مدير أعمال "مصطفي زهران" يضربه بالحقيبة في وجهه، سقط من "أحمد" المسدس على الأرض.

وهرب الرجل الذي كان يحمل الحقيبة فوق رأسه، يجلس خلف سيارته بجانب الرجل الذي قتل "مصطفي زهران"، يأخذ في أنفاسه محاولاً أن يساعد زميله فأخرج مسدسه لكن لا يستطيع أن يمسكه بيده المخدرتين، ابتسم إلى زميله وكأنه يريد القول بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً.

ينهض القاتل ليطلق الرصاص على "أحمد" فلا يرى من شدة العتمة شيئاً، ذهب بهدوء يبحث عنهما .

حاول مدير أعمال "مصطفي زهران" أن يخرج مسدسه فانقض عليه "أحمد" قبل أن يخرج الرجل المسدس يمسك "أحمد" في رقبة الرجل ليعلم منه رسالة زوجته، **أجابه الرجل بسخرية وهو يخرج مسدساً آخر من خلف ظهره:**

- هي سوف تخبرك.

اقترب القاتل من صوت شجارهما لكن العتمة لم توضح له الوجه، فيطلق الرصاص على مدير أعمال "مصطفي زهران" قبل أن يطلقه الرجل في جسد "أحمد".

أخذ "أحمد" مسدسه من على الأرض وتبادل إطلاق الرصاص، أتت الشرطة فلمح "أحمد" القاتل يريد حقيبة المال، أطلق "أحمد" علي الرجل الرصاص ويسرع قبله يأخذ الحقيبة، يرى جثة مدير أعمال "مصطفي زهران" نظر إليه بندم من احتفاظ رسالة زوجته بين أموات.

هرب "أحمد" من ملاحقة القاتل ليأخذ منه حقيبة المال ولأن الظلام حالك، الخطوة الذي يأخذها "أحمد" تخفيه عنه مثل الشبح.

سيارات الشرطة على أبواب الدخول لمسرح الجريمة .. يهرب القاتل بسرعة إلى سيارته وينادى على زميله من خلف السيارة للهروب، ينطلقان بأقصى سرعة بالسيارة فتنطلق معظم سيارات الشرطة خلفهما.

يسلك القاتل طريقاً متعمداً السير فيه وكل سيارات الشرطة تأتى من خلفه، تُفرغ إطارات سياراتهم المسامير الملقاة على الأرض، ابتسم الرجل الذي عاقبه "أحمد المسلم" برفع يده ساخراً من منظر سيارات الشرطة وهى تهتز يميناً ويساراً.

دخلت قوات الشرطة إلى مكان الحادث على رأسهم "عماد الحسيني"، يخرج من سيارته يحمل في يده كشاف نور متجهاً إلى جثة "مصطفي زهران"، يهز رأسه وكأنما يعرف القاتل، يأتي بجانبه ضابط شرطة الآثار ثم يتابعه ضابط آخر من خلفهما يحمل حقيبة الآثار، **يعطيها إلى ضابط شرطة الآثار قائلاً:**

- لن نجد إلا حقيبة الآثار.

نظر "عماد الحسيني" إلى ضابط شرطة الآثار. سأله:

- ماذا يعني؟.

"ضابط الآثار":

- هذه عملية استلام وتسليم وحقيبة المال غير موجودة.

امتص "عماد الحسيني" في غضبه فالقادم أصعب، **عندما فتح ضابط شرطة الآثار الحقيبة ويظهر على وجهه الاندهاش قائلاً:**

- الآثار مزورة.

وضع "عماد الحسيني" يده على رأسه متجهاً إلى سيارته، يجلس فوق مقعد القيادة وقدماه خارج السيارة يشعل سيجارة ويأخذ من جانبه جهاز اللاسلكي **يتحدث فيه:**

- لاحقتم السيارة؟.

الرد عليه:

- السيارة هربت.

ضرب بيده المقود بقوة، يرجع لنفسه يفكر ثم يتحدث في اللاسلكي:

- أقيموا نقطة تفتيش عند مداخل ومخارج الطرقات .. لا يوجد نملة تمر إلا تفتش.

رمي بجانبه اللاسلكي منطلقاً بالسيارة محدداً هدفه.

في الطريق تقف السيارات لمرورها على كمين للشرطة، بوسط السيارات سيارة أجرة بداخلها "أحمد المسلم" جالساً في المقعد الخلفي بين قدميه حقيبة المال.

يلمح من بعيد "عماد الحسيني" على رأس قوة الشرطة، تعجب "أحمد" وكأنما علم سبب وجودهما فطلب "أحمد" من السائق تشغيل آلة التنبيه حتى ينهى هذا الكمين، **فأجابه في الحال السائق برهبة:**

- إن فعلتها سوف تتسبب في سحب رخص السيارة.

يلمح "عماد الحسيني" وهو يلتفت بطرف عينيه "أحمد" فسمح بمرور السيارات المنتظرة تمر مسرعة، رأى "أحمد" عين "عماد الحسيني" تنظره، يتبادلان النظر وكأنما عاشقان على موعد، رفع الحقيبة على قدميه يستند فوقها بيده وكأنه لا يخشاه .

دخلت سيارة الأجرة ببطء إلى الكمين، يخرج السائق رخصته إلى الضابط، يأمر "عماد الحسيني" أحد الضابط أن ينزل "أحمد" من سيارة الأجرة:

- أخرجه.

يوصد "أحمد" الباب ويفتح النافذة يتكلم منها وهو ينظر أمامه وكأنه لا يرى شيئاً بجانبه:

- ما تفعله هذا يسمى في القانون بجريمة لا تتحمل أنت عقابها.

اقترب "عماد الحسيني" من النافذة بعد أن بعد بيده الضابط ليقف مكانه قائلاً:

- وما فعلته هذه الليلة يسمى ماذا؟.

"أحمد" وكأنما يسخر:

- بالطبع خير! لا أعتقد أن يختلف أي إنسان أن من يتبرع بدمائه للمستشفيات بالعمل غير الخير.

أخرج له "أحمد المسلم" ورقة إثبات صحة كلامه، أخذ "عماد الحسيني" الورقة ينظر فيها نظرة عابرة فيمزقها متبسماً:

- مزورة.

"أحمد":

- ممكن تتأكد من المستشفي بنفسك.

"عماد الحسيني":

- أين كنت؟.

رفع "أحمد" عينيه إلى آخر الكمين وكأنما منبهر:

- كمين قبل منزلي بمسافة قليلة .. تعتقد أنت أن ستجد أحداً يصدقك وأنت ناصب كمينك في أول الشارع الذي أسكن فيه؟!.

أعاد عليه السؤال:

- أين كنت؟.

"أحمد" بنظرة عين قوية:

- شيء لا يخصك.

"عماد الحسيني":

- افتح الحقيبة وأنت ستعرف إن كان أحد يصدقني أم لا!.

"أحمد" بكل تحدٍ:

- لا أنت ولا أكبر واحد في وزارتك يستطيع أن يجبرني أو يأمرني أن أفتح حقيبتي .. ولا تنسي أنت تتحدث مع من! أظن أنك من نبهتني أن استقالتي لم تقبل؟.

جعل "عماد الحسيني" في موقف جمود لا يستطيع أن يفعل شيئاً أو يرد وكأنما وضعه في مبرد

يأمر "أحمد" السائق:

- هيا.

نظر "أحمد المسلم" إلى الضابط الذي أخذ الرخصة:

- أعد له الرخصة.

أخذ السائق الرخصة ونظر "أحمد" متحدثاً إلى "عماد الحسيني":

- آه .. أنا لم أكن في مستشفي ولا أساساً تبرعت بدمي .. ومعي بدل الورقة اثنتان وثلاث .. هكذا القانون ورق وختم واثبت عكس ذلك.

"عماد الحسيني":

- سنلتقي قريباً لكن هذه المرة وأنا معي أمر من النائب العام بالقبض عليك.

"أحمد":

- بموت "مصطفي زهران" انتهت القضية.

يدفع "أحمد" بيده السائق فيسير ببطء لكثرة حواجز الشرطة يلحق به "عماد الحسيني" قائلاً:

- القضية بدأت.

لا يلتفت له "أحمد" ويترك الأمر لتاكسي الذي يبعده عنه، يبقى "عماد الحسيني" في مكانه ثابتاً مذهولاً من رد فعل "أحمد"، يشير إلى الضابط الذي يتولى أمر الكمين أن ينهي الكمين في الوقت الذي كان الضابط يطلع على رخصة سيارة ملاكي، يعيد تسليم الرخصة لصاحب السيارة ويجعله يمر مشيراً إلى باقي أفراد الشرطة بالانصراف .

تقف سيارة الأجرة أمام عمارة "أحمد المسلم" ويبقى "أحمد" شارداً بفكره، نظر إليه السائق من المرآة قائلاً:

- حضرتك عمارة 12.

نظر إليه "أحمد" ثم نظر إلى العمارة ثم يفتح الحقيبة ينظر في فراغها وضع فيها المسدس ويشير إلى السائق أن يذهب إلى مكان آخر.

يحاول "عماد الحسيني" أن ينهى هذه القضية على طريقته فيبدأ بمكتب الضابط "أكرم"، جلس أمامه "عماد الحسيني" في يده ملف يحتوي على أوراق تضخم حجمه. **فحدثه "عماد الحسيني" عن سر جموده أمام "أحمد المسلم":**

- القانون حرفته ويعلم أنني لا أستطيع القبض عليه.. لكن الغريب أنه لا يهمه شيء ولا أدري إن كان غروراً أو ثقة أو تهوراً .. لكنه لا يدري أنه يوجد أدلة جديدة ظهرت في القضية ولو خدمني الحظ سيصدر قريباً قرار بوقفه عن العمل والقبض عليه.

سأله "أكرم":

- ماذا تقصد بالحظ لو خدمك؟.

"عماد الحسيني":

- شاهد مهم.

"أكرم":

- وسيادتك تأكدت أنه القاتل؟.

"عماد الحسيني":

- ماذا ترى؟.

"أكرم":

- أرى لو كان أحدنا مكانه لكان فعل أكثر من ذلك.

قرع هاتف المكتب قطع "أكرم" حديثه ورد على الهاتف:

- معك يا سيادة اللواء دقائق وأكون عندك.

وضع السماعة ونظر يسأل "عماد الحسيني":

- هل يوجد أسئلة أخرى؟.

يقف "عماد الحسيني" فيقف "أكرم" ثم يجيبه:

- لقد انتهيت.

يخرجان سوياً من المكتب يسيران في البهو ويكمل معه "عماد الحسيني" حديثه:

- والقانون من ينفذه؟.

يمران بجوار أمناء الشرطة والعساكر ويعطيهم التحية، أجابه "أكرم" وهو يرد التحية على العساكر:

- "أحمد المسلم" لم يسانده القانون .. بل جعله في كل خطوة مجرماً.

"عماد الحسيني":

- هذه الحقيقة.

وقف "أكرم" يسأله:

- من قتل مدام "نهى"؟ إن كان "أحمد المسلم" قتل فيبقى السبب أنت .. عن أذنك سيادة مدير الأمن في انتظاري.

يسابقه "أكرم" بخطوة فيرد عليه "عماد الحسيني" في غرور:

- السبب.. لا يهمني سوى النتيجة.

******

- 16 -

الكل يحاول أن يستعد للحياة القادمة التي في كل مرة تتغير ملامحها، في دار المسنين تجلس "سلمى" و"كريم" مع أمها في صالة الاستقبال، **علي وجهها تغير الأيام قائلة:**

- كل شيء راح بموت "مصطفي زهران" حتى الفيلا تم الحجز عليها ونقيم فيها مؤقتاً.

الأم:

- والمال الذي تركه بالملايين.

"سلمى":

- كل ما يمتلكه موزع في جميع مصارف العالم والمتبقي هنا يكاد يكفي سداد القروض.

الأم:

- وكيف ستعيشين هذه الفترة؟.

"سلمى":

- كان "قمر" تاركاً لي وديعة صغيرة باسمي .. المحامي وعدني أنهم من الممكن يرفعوا عنها الحراسة .. وأيضا سوف أبحث عن عمل لكن المهم هو أنت لا أستطيع أن أدبر.....

قاطعتها الأم باندهاش:

- أنا عشت فترة أكثر من خمس سنوات من غيرك .. لا تقلقي على العمر المتبقي مني.

تحتضنها "سلمى" وتربت الآم فوق كتفها قائلة:

- أنا كل ما احتاجه منكِ أن تبدئي حياتك من جديد.

دخل عليهما في هذه اللحظة أحمد المسلم يقول لسلمى بهدوء صوته العذب:

- كنت متأكداً أنني سوف أجدك هنا.

بغلظة ترد عليه "سلمى":

- أنت مرة أخرى! ألم يكفك كل ما جري لنا من تحت رأسك.

قام "كريم" بلهفة يحضن "أحمد":

- عمو "أحمد" ..

"سلمى":

- "كريم" تعالٍ هنا.

نظر "أحمد" إلى "سلمى"، فرجع "كريم" يسمع الكلام خوفاً منها، فتجذبه بقوة إليها قائلة:

- لم يكن لك إلا عم واحد وقد مات.

ونظرت إلى "أحمد" متابعة:

- ممكن من فضلك تعتبرنا أمواتاً.. ولا لازم نكون فعلاً أمواتاً.

"أحمد":

- أنتِ.....

وقفت أمامه "سلمى" تصادر منه الكلام قائلة:

- منتظر ماذا جديد تسمعه كي تفهم أن وجودك هنا غير مرغوب به!.

عاتبتها الأم:

- "سلمى" ماذا تقولي!.

"سلمى":

- بعد إذنك ..

"أحمد":

- بعد إذنك أنتِ .. أنا لم أعد لسواد عيونك أو قادماً أبحث عن انتقام .. أنا وأنتِ كنا ضحية لرجل واحد وأكثر اثنين تمنوا موته.

"سلمى":

- لكن لا تصل لحد القتل يا "أحمد" بيه.

"أحمد":

- للأسف الشديد هذا الشرف لم أنله .. وأشعر حقاً بالخسارة أنني لم أحصل عليه .. ولا يهم إن كنتِ تصدقين أم لا .. وهذه آخر مرة سوف تريني فيها.

نظرت "سلمى" أمامها قائلة:

- أتمنى أن تكون هذه المرة صادق الوعد يا "أحمد" بيه.

"أحمد":

- أنا حقا سأكون صادق الوعد معكِ.. لكن أتمني أن تتذكري حديثي في مترو الأنفاق أنني لم أؤذكِ .. وسوف تفهمين معني ما أطلبه منك فيما بعد وقريباً سيأتي جوابك .

ذهب "أحمد المسلم" إلى الأمام وتركها نادى عليه "كريم" وينظر إلى أمه التي يخشاها، فيلتفت إليه "أحمد المسلم" دون ابتسامة ملوحاً له "كريم" بالوداع .

نظر "أحمد" إلى "سلمى"، ثم نظر على "كريم" ملوحاً أيضاً له بالوداع، ذهب "أحمد" متجهاً إلى باب الخروج فقابله مشرف الدار يشير له باحترام خشية منصبه.

جلست "سلمى" مكانها وعيناها إلى الأرض وعين أمها عليها تتأسف لأجلها ولأجل الموقف قائلة:

- لمَ كنتِ فظة معه لهذا الحد.

وكأنما طرق على قلب "سلمى" الندم قائلة:

- كان لازم.

وقامت وكأنها لا تتحمل عين أمها التي تعاتبها، عادت إلى الفيلا وداخل رأسها يدور حول ترجمة حديث "أحمد" لها في الدار عن معنى الرد الذي سيعرفه قريباً، تركت "كريم" في غرفته ونزلت إلى مكتب "مصطفي زهران" تأخذ مكانه على كرسيه وتفتش في أدراج مكتبه، تجد بين أوراقه جواز سفر خاص بـ"كريم"، **يحدث لها شبه صدمة قائلة:**

- كان يحضر لسفر "كريم".

رمت جواز السفر على المكتب وتأتى لتفتح الدرج التالي يدخل عليها "كريم" مفزوعاً:

- أنا خائف أنام بمفردي.

أغلقت الأدراج وأطفأت المصباح وقامت تغلق باب المكتب بقوة، تصعد ومعها "كريم" على الدرج نظرت يمينها على صورة "مصطفى زهران" **تقول بهمس خافت:**

- الحمد لله إنك مت.

****

- 17 -

المفاجأة التي تغير من جديد كل الأحداث تخرج شرارتها من مكتب "حسن".

جالساً بعيداً عن المكتب معه وكيل النائب العام "سامي" المكلف في تحقيقات مقتل "مصطفي زهران"، أمامهما على الطاولة ملف القضية. **سأله "سامي":**

- هل عندك شك في "أحمد"؟.

"حسن":

- أظن أنك أيضاً لا تشك فيه.

أجابه "سامي":

- أنا لا أعرف "أحمد" شخصياً ولا أظن أنه قد يكون فعلاً هذا .. لكن أيضا الشرطة وجدت في مكان الجريمة مسدس "مصطفى زهران" .. ولمَ رفعنا البصمات وجدنا البصمات مشابهة لبصمات "أحمد المسلم" .. هو فعلاً ليس المسدس الذي نفذ به الجريمة .. لكن بما تفسر وجود المسدس في مكان الجريمة؟.

تاه "حسن" ثم سأله:

- وماذا تنتظر؟.

"سامي":

- لا أعرف! وأيضاً ضابط وزارة الداخلية منتظراً أسلمه ملف القضية وتقرير البصمات الجنائية.

طرق الباب ودخل أمين شرطة في يده ظرف متلعثماً في نطق الكلام:

- تقرير الطبيب الشرعي النهائي في قضية مدام "نهى".

أخذ الملف "حسن" وهو في مكانه جالساً:

- شكراً ... تفضل

فتح الظرف وأخرج التقرير يقرأه تذهل عيناه مما يقرأ، يغلق التقرير قائلاً:

- ممكن تترك لي ملف القضية وسوف أعيده لك غداً في المكتب.

"سامي":

- وماذا أفعل بعدها؟.

"حسن":

- خذ الإجراءات القانونية ضد "أحمد" ولن يلومك أحد.. ولكن أجلها لغد.

يقف "حسن" ويقف معه "سامي"، ذهب "حسن" يأخذ هاتفه المحمول من على المكتب ومفاتيح سيارته، **فسأله "سامي":**

- ماذا وجدت بالتقرير؟.

"حسن":

- شيء ما من الممكن يفيد "أحمد".

يعطيه "حسن" التقرير يقرأه .. يرد عليه "سامي":

- لهذا السبب أجلت أي إجراء ضده إلى أن يعرف بنفسه.

"حسن":

- بالضبط.

"سامي":

- أنا منتظرك غداً في المكتب.

ارتدي "حسن" معطفه، يخرج إلى سيارته وهو يقوم بالاتصال على "أحمد". دقائق معدودة يقابل "أحمد" في المشرحة، "حسن" المنتظر في البهو، **يسأله قبل أن يأخذ أنفاسه:**

- ماذا وجدت في التقرير؟.

يخرج "حسن" من جيبه التقرير، يرفعه أمام عينيه قائلاً:

- شيء أريدك أن تعرفه

يبعد "أحمد" عينيه في الأرض هارباً من منظر الدم الذي يراه بداخل التقرير:

- وهذا الشيء كان لا يصلح في مكان آخر غير هذا.

"حسن":

- سوف نستفسر عن شيء من الطبيب.

"أحمد":

- أرجوك يا "حسن" سوف انتظرك خارجاً.

"حسن":

- لا يا "" لابد أن تكون معي .. أرجوك الطبيب "محمد" في انتظارنا.

مرت من أمامهم ممرضة يستوقفها "حسن" ليسألها عن الطبيب "محمد" فتجيبه أنه في المشرحة، ينظر إلى "أحمد" الذي مازال في مكانه واقفاً، فيشبك "حسن" يده في ذراعه ويسيران، يدخلان إلى غرفة التشريح وعين "أحمد" لا تتحمل المكان وكأنه يتخيل زوجته بمرور جثتها إلى هنا. يقابلهم الطبيب "محمد" رجل كبير في السن بمفرده أمام جثة .

"حسن":

- مساء الخير يا دكتور "محمد".

يقفان أمامه يفصل بينهم سرير الجثة الذي يقوم بتشريحها، ينظر إليهما الطبيب ويعود إلى عمله قائلاً:

- أهلاً .. كيف حالك يا أستاذ "أحمد".

"أحمد":

- الحمد لله.

الطبيب "محمد":

- أنا كنت متأكداً من زيارتكم.

"أحمد":

- وما السبب الذي جعلك واثقاً من زيارتنا؟.

نظر الطيب إلى "حسن" مندهشاً:

- أنت لم تقل له شيئاً؟.

سأله "أحمد" باندهاش:

- يقول ماذا؟.

نظر إليهما منتظراً الجواب، ترك الطبيب الجثة ذاهباً إلى "أحمد" يسأله:

- في آخر أيام لزوجتك الم كانت تشعر بصداع شديد ودوخة مستمرة؟.

"أحمد" متعجباً:

- دكتور "نهى" كانت حامل!.

فنظرة الطبيب المكسورة تحمل أكثر من ذلك وصمته يُسكن "أحمد" مواطن الفزع، بنبرة صوت هادية تشجو:

- ماذا تريد قوله؟.

"حسن":

- "نهى" كانت مصابة بورم خبيث في أسفل رأسها.

يفاجئ "أحمد" يستند على السرير متسائلاً:

- كيف؟.

الطبيب "محمد":

- من عينة الدم الأخيرة ثبت صحة إصابتها بورم خبيث في رأسها .. وأنها كانت سوف تدخل للمرحلة الأخيرة.

يكابر "أحمد":

- لكنها لم تكن تعاني من شيء غير آلام الحمل وفقط.

الطبيب "محمد":

- هذا ما كانت تخفيه عنك.

"أحمد":

- وهي لماذا تخفي عني أمر مرضها؟!.

الطبيب "محمد":

- لأنها كانت تريد الحفاظ على الحمل.

"أحمد" في صدمة وكأنه يخبره خبر وفاتها مرة أخرى قائلاً:

- ولمَ لم تخبروني من قبل.

يضع "حسن" يده على كتف "أحمد":

- اهدأ يا "أحمد".

الطبيب "محمد":

- أنا مقدر حالتك لكن أنا كنت مثلكم متألماص لوفتها وخاصة بعدما علمت بمعاناتكم إلى أن تم الحمل .. هي فعلاً كانت تحبك لدرجة أنها ضحت بنفسها وحياتها حتى لا تفسد فرحتك بعد أن رفضت العلاج الكيماوي.

"حسن":

- وماذا كانت النتيجة؟

الطبيب "محمد":

- علمياً كانت حياتها أياماً معدودة والحمل كان لابد من إجهاضه في كل الحالات.

استند "حسن" بجانب "أحمد" إلى السرير قائلاً:

- لهذا السبب طلبت حضورك حتى تسمع وترحم نفسك من الذنب.

بحزن يحرك موج الذهول في عينيه وكأنما بحر يأتي بموج من الأحزان وقطرات دموعه كأنما هى التي تتحدث عنه:

- سمعت ما قاله؟ كان لها من حياتها أيام .. يعني هي رحلت قبل ميعادها حتى إن كان متبقياً لها ساعة من عمرها.

يعتدل متابعاً:

- كل ما كنت أتمناه من الدنيا دقيقة أحتضنها أكلمها أسمعها أو أودعها.. "نهى" أتت لهنا جثة لتشرح من رصاصة في رأسها وليس لمرضها.. كان أهون عليَّ تموت في أحضاني ولا تُقتل.. هناك فرق كبير.. هي ليست مثل الخيل حتى ندعى أنها ارتاحت.. المسكينة ماتت في كل الحالات بسببي.

تركهم "أحمد" هارباً لخارج الغرفة التي تزيده عمقاً في رؤية زوجته بقميص الدم لموج حزن جديد، يأتي "حسن" ليخرج خلفه، **منعه الطبيب "محمد" قائلاً:**

- اتركه الآن هو يحتاج أن يكون لوحده.

يرجع الطبيب يواصل عمله، ينظر إلى "حسن" المتغرب في بلاد تهديه الحزن قائلاً:

- لو ما كانت طبيعة عملي علمتني التماسك لكنت بكيت.

وكأنما يرفع عنه كبرياء الدموع فتمطر مثل السماء عيناه قائلاً:

- أنا لم كنت قاصداً تبرير موتها.. كل ما...

قاطعه الطبيب "محمد":

- بعد أن يفيق سيتفهم ما كنت تقصده!.

نظر إليه "حسن" فيجد الطبيب يهز رأسه بفهم نيته، يستأذن "حسن" ويخرج يبحث بخياله عن "أحمد" الذي يذهب لزوجته في المقابر في غمرة الليل، **يركع على ركبتيه محدثها:**

- لمَ لم تشاركيني مرضك .. وتركتني هنا ألوم نفسي .. أنتِ كنتِ أغلى من أي شيء أغلى من حياتي .. أنتِ أمي وطفلتي أنتِ حبيبتي وصديقتي .. كل شيء كنت أكرهه فيكِ الآن أحلى ذكرى أعيشها .. سامحيني لم أقدر أن أحميكِ.

دخل من خلفه "عماد الحسيني"، دون أن يشعر به "أحمد" ولكنه يرجع يقف بعيداً يحترم خصوصية شعوره، قليلاً ما مر الوقت فقرع هاتف "عماد الحسيني" انتبه له "أحمد"، يشير له "عماد الحسيني" بابتسامة وكأنه يعتذر له على اختراق خصوصيته، ويبتعد يرد على الهاتف، **ينهض "أحمد" من على الأرض ينظر إلى السماء يرسل رجاءه لله:**

- يارب ارحمها.

ذهب متجهاً إلى سيارته، ركض خلفه "عماد الحسيني" وهو ينهي المكالمة ويقف أمام "أحمد" **قائلاً:**

- علمت! لكن ألا ترى أن قتلك لـ"مصطفي زهران" كان خطأ؟!.

نظر "أحمد" نحو قبر زوجته وسأله:

- وماذا ترى أنت.. هل هي في نظر القانون امرأة ميتة أم مقتولة؟.

"عماد الحسيني":

- لهذا السبب قتلت "مصطفي زهران".

"أحمد":

- لو اعتقدت في نفسك أنك ذكي فأنت غبي ... اختيارك لهذا التوقيت وهذا المكان تحديداً لتستطيع أن تسجل لي الاعتراف الذي تبحث عنه....

نظر له "عماد الحسيني" باندهاش، فسأله "أحمد":

- لمَ تسعى دائما أن أكون متهماً؟!.

نظر "عماد الحسيني" إلى السماء يرفع كتفه قائلاً:

- أنا أبحث عن الحقيقة.

"أحمد":

- أنت تبحث عن الترقي في عملك.

"عماد الحسيني":

- وما المانع؟.

"أحمد":

- أنا .. إن لم تبتعد عن طريقي.

يدفعه "أحمد" من أمامه فيقف في مكانه "عماد الحسيني" . سأله:

- هل هذا تهديد؟.

دون أن يلتفت إليه "أحمد" قائلاً:

- ستكون هذه مشكلتك في الفهم.

ابتسم "عماد الحسيني" لذكاء "أحمد"، وأخرج من جيبه جهاز التسجيل يغلقه وينظر إلى "أحمد" يجده يسير باتجاه بالسيارة انتظر قليلاً لمغادرة "أحمد" المكان ثم اتجه، إلى قبر زوجة "أحمد" يقرأ الفاتحة.

يضيق على "أحمد" السبيل فيلجأ إلى "حسن"، يقرع عليه باب شقته في ساعة متأخرة من الليل استيقظ "حسن" مفزوعاً وخرج يفتح الباب .. يجد أمامه "أحمد" يشعر "حسن" بالخجل ويبقى صامتاً لا يتكلم، ويبقى "أحمد" واقفاً على الباب فخرجت "هبه" زوجته تنظر إليهما واندهشت، **تقترب قائلة:**

- تفضل بالدخول.

يذوب من على "حسن" الثلج قائلاً:

- أنا لم أقصد ما قلته لك اليوم.

يضع "أحمد" يده على كتفه قائلاً:

- أنا لم أعرفك اليوم يا "حسن" حتى لا أميز ما تقصده!.

يدخل إلى الشقة وجلس "أحمد" ينظر بعمق إلى "هبة" الواقفة:

- أنتِ كنتِ على علم بمرضها؟.

تطأطئ رأسها إلى الأرض لمعرفتها، يفاجأ "حسن" ويسألها السؤال نفسه:

- كنتِ تعلمين يا "هبة"؟.

جلست "هبه" قائلة:

- هذه كانت رغبتها.

يواجهها "حسن" بالعتاب:

- ولماذا بقيت على هذا السر حتى بعدما ماتت!.

أجابته:

- أقسمت علي ألا أعرف أحداً حتى بعد مماتها حتى لا يغضب أحد منكما مني.

نظرت إلى الأرض وبكت وهي تحكي:

- كانت تحارب مرضها بكل الطرق حتى تصل بعمرها للولادة .. وكان لا يهمها سوى سعادتك أنت.

"أحمد":

- وهل كانت متخيلة أن سعادتي معها بالأطفال؟!.

تدافع "هبة" عنها:

- لأنها مثل أي امرأة تتمنى الأمومة.

رجع "أحمد" للخلف يسند رأسه على الأريكة قائلاً:

- وما استفادت في النهاية؟.

"هبة":

- أنا آسفة.

"أحمد" والدمعة في عينيه مثل القطرة التي يضعها قبل النوم:

- لا أحد من حقه الاعتذار غيري أنا .. واعتذاره غير مقبول! كيف مر كل هذا الوقت وأنا لا أشعر بألمها ولا أرى في عينيها وجعها! كيف لا أحس بها وهي في كل دقيقة تمر تتألم لأجلي! أين كلام الحب الكبير الذي كنت أوهمها به؟!.

اقتربت أكثر منه "هبة" تضمد جراحه قائلة:

- لأنها كنت تحبك حقاً لدرجة أنها كانت تنسى كل ألمها كلما كانت معك ولا تحس بأي شيء غير بك.

رفع "أحمد" رأسه وكأنه يبحث عن منديل يمسح به أعذاره ناظراً إليها وكأنما تعطيه المنديل متابعة:

- هي من قالت لي هذا .. وقالت أيضاً إن الحب الحقيقي مرآته ماضيه

اتجه "أحمد" بنظره إلى "حسن" ليتبادلا النظرات؟! **فيردد "حسن" كلام "نهى" وهو يبتسم:**

- العمر ليس بالسنوات القادمة.

أكمل "أحمد":

- العمر هو صندوق الذكريات .. كانت متصورة دائماً أن الثروة الحقيقة في عمر الإنسان .. هو جعل ماضينا أحلي من مستقبلنا .. لأجل ذلك كانت تعيش اليوم باليوم ولا تحلم بالغد إلا عندما تستمتع أولاً بوقتها.

"هبة":

- فهمت الآن ما كانت تعنيه؟.

"أحمد":

- أنا الآن الذي فهمت أنها كانت تشعر أن عمرها قصير.

أخرجه "حسن" من هذه الدوامة. وسأله:

- ألم تصل إلى الآن لشيء عن الرسالة الذي كان يريد أن يخبرك بها "مصطفي زهران" قبل موته؟.

"أحمد":

- هذا أكثر ما يتعبني الآن .. وأيضاً لم أجد مفكرتها الشخصية ومتأكد أنها كانت معها في حقيبة يدها .. والخوف أن يكون مزقها أحد.

******

- 18 -

دخل "عماد الحسيني" فيلا "مصطفي زهران" يبحث عن ما كان يحذر "سلمى" منه "أحمد" في آخر لقاء بينهما في الدار، من جوابها الذي ينتظره، تقابله "سلمى" ومعها "كريم".

يقدم نفسه "عماد الحسيني" بغرور:

- الرائد "عماد الحسيني" وزارة الداخلية.

"سلمى":

- أهلاً يافندم.

ثم نظرت إلى "كريم" قائلة:

- "كريم" ممكن تصعد لغرفتك تنهي باقي مذاكرتك.

"كريم":

- حاضر يا ماما.

ابتسم له "عماد الحسيني" وصعد "كريم" فالتفتت "سلمى" قائلة:

- أنا معايا أمر من النائب العام بإخلاء الفيلا بعد شهر.

ابتسم "عماد الحسيني" قائلاً:

- مدام "سلمى" ليس لي علاقة بهذا الأمر .. أنا هنا لسبب آخر.

"سلمى":

- تفضل بالجلوس.

يجلسان ويتابع:

- أنا لن آخذ من وقتك الكثير .. باختصار أنا هنا لأمر يخص "أحمد المسلم" .. من معلوماتي والتحريات إن "أحمد المسلم" كان على علاقة بكِ.

"سلمى" باستياء:

- علاقة!.

"عماد الحسيني":

- أنا لم أقصد علاقة بهذا الشكل .. ما أقصده أن "أحمد المسلم" حاول التقرب منك.

"سلمى":

- وإن حدث هذا.. فما هي المشكلة إذ؟.

"عماد الحسيني":

- هذا ما سوف أعرفه منك.

أغمضت "سلمى" عينيها وكأنها تخيلت أمامها "أحمد المسلم" في كل لقاء جمع بينهما، فحاول يبعدها "عماد الحسيني" عن الشفقة ويكمل كلامه:

- "أحمد المسلم" متهم بقتل "مصطفي زهران" وكان يحاول التقرب منك لأجل خطف "كريم" ابنك وربما كان قتله.

انتهت "سلمى" من رحلة الخيال وسألت "عماد الحسيني" وهى تجيب عن سؤالها:

- وما تريده مني أن أعترف بهذا !.

"عماد الحسيني":

- أليس هذا ما حدث!.

"سلمى":

- طبعاً لا.

"عماد الحسيني":

- ولمَ حاول التقرب منك .. هل كان لأجلك أنتِ؟.

"سلمى":

- أساله هو! لكن ما أعرفه جيداً يا حضرة الضابط أن "أحمد المسلم" كان معي إنساناً ومع ابني الذي كان من المفترض يخطفه أو يقتله ! .. ما أدركه من الحياة أن الإنسان الذي يقرب ابنة من أمها في الوقت الذي مفترض يحول حياتها لجحيم لا يكون إلا إنساناً مشاعره طيبة ونبيلة .. إلا لو كان عند سيادتك رأي آخر ! أما بالنسبة لقضية "مصطفي زهران" كل ما أعرفه أنه قتل في عملية شراء أو تجارة آثار وهذا لا يعنيني .. وأنني نادمة بشدة على زوجة "أحمد المسلم" وأيضاً عليه.

"عماد الحسيني":

- أمامي احتمالان إما أن "أحمد استطاع" يؤثر عليكِ أو تكوني أحببته؟.

وقفت "سلمى" تنهي اللقاء قائلة:

- بعد إذنك.

وقف "عماد الحسيني" وأخرج من جيبه الكارت:

- هذا رقم تليفوني الشخصي إن تذكرتِ شيئا لتبلغيني به .. قبل أن يقدم ضدك اتهام رسمي باشتراكك مع "أحمد المسلم" بقتل "مصطفى زهران" .. وخاصة أننا وجدنا مسدس "زهران" في مكان الحادث عليه بصمات "أحمد المسلم" .. والسؤال هنا من أين أتى "أحمد" بمسدس "مصطفي زهران"؟ والتحريات أثبتت أن بينكما علاقة وإنكِ كنتِ في شقته في ساعة متأخرة قبل ليلة مقتل "مصطفى زهران" ؟!.

يضع الكارت فوق الطاولة:

- أنا سوف أعطيكِ فرصة لغدٍ للتفكير.

اتجه نحو الباب ونظرت "سلمى" إلى الكارت وعلى "عماد الحسيني" فنادت عليه:

- من فضلك انتظر.

أخذت الكارت وذهبت إليه، يقف "عماد الحسيني" وعلى وجهه ابتسامة وكأنه يرى انتصاره، تعطيه "سلمى" الكارت **قائلة:**

- ليس عندي شيء آخر تحب سماعه.

"عماد الحسيني":

- مدام "سلمى" ابنك يحتاجك بجانبه لا تجعليه يفقد كل من حوله .. و"أحمد المسلم" قريباً سوف يصدر قرار بوقفه عن العمل وتحويله للتحقيق .. ولن تجدي أحداً يحميكِ.

"سلمى":

- ربنا موجود.

"عماد الحسيني":

- في كل الأحوال ستكونين أنتِ الخاسرة.

فتحت له "سلمى" باب الفيلا ونظرت إلى الحديقة:

- يبدو أن هناك مشكلة تجاه "أحمد المسلم" معك.. أرجوك حلها بعيداً عني.

خرج "عماد الحسيني" وأغلقت الباب وسارت ببطء يغطي ملامحها القلق والخوف:

- إلهي لا تتركني.

*****

- 19 -

في مكتب "حسن" يقرأ في ملف قضية "مصطفي زهران" يرى أمامه في الملف شيئاً اندهش له استوقفه عن القراءة، فتح درج مكتبه يخرج منه ملف قضية "نهى"، يفتح ملف القضية يقلب في صفحاته بسرعة إلى أن يصل لصفحة ما يبحث عنها.

أخذها من الملف ووضعها أمام ملف "مصطفي زهران"، يقارن بين الورقتين والاندهاش يكاد يذهب عقله.

رفع السماعة من جانبه وعيناه على الملف يكلم المحامي العام لعمل لقاء عاجل مع النائب العام .. يضع "حسن" السماعة ويتحدث في هاتفه المحمول مع وكيل النائب العام "سامي" ليحضر معه مقابلة السيد النائب العام، قام "حسن" من على مكتبه ثم أخذ ملفيْ القضية.

داخل مكتب النائب العام جالساً على مائدة الاجتماع "حسن" و"سامي" وأمامهما "عماد الحسيني" ويدور بين "حسن" و"سامي" حديث جانبي هامساً لا يسمعه "عماد الحسيني".

دخل النائب العام ومعه المحامي العام من باب داخلي في المكتب، يقفون له و"حسن" يختم حديثه مع "سامي" في أعقاب حديث النائب العام:

- آسف على التأخير... تفضلوا بالجلوس.

جلس الكل وقام "عماد الحسيني" بإعطاء ملفه إلى النائب العام قائلاً:

- لولاً أن السيد وكيل النائب العام "حسن" بيه طلب اجتماعاً عاجلاً لكنت انتهيت من تجميع باقي أدلتي في إدانة وكيل النائب العام "أحمد المسلم" .. وأنا أتقدم لحضرتك بطلب بوقفه عن العمل وتقديمه للتحقيق في ...

رفع النائب العام يده قاطعاً حديث "عماد الحسيني" ونظر إلى "حسن" سأله:

- وأنت يا "حسن" لمَ طلبت لقاء عاجلاً وعدم اتخاذ أي قرار يصدر ضد "أحمد المسلم".

"حسن":

- لأن "أحمد" بريء من كل التهم والادعاءات التي يحاول لها سيادة الرائد نسبها وتلفيقها.....

خرج عن شعوره "عماد الحسيني":

- ما أنا نسيت أنكم أصحاب ولابد أن تداري على أفعاله.

"حسن":

- لا تتجاوز حدودك هذا اتهام أنا ممكن أقدمه ضدك.

النائب العام:

- حضرة الضابط الكلام هنا بأدلة وفي حدود القضية وغير مسموح أي تجاوز .. والحديث أيضاً موجه لك يا "حسن".

يهدأ "عماد الحسيني" قائلاً:

- آسف لكن أنا لدي أدلة تثبت تورط "أحمد المسلم" في قضايا كثيرة تجاوز فيها القانون قبل اتهام رجل الأعمال "مصطفى زهران".

"حسن" ساخراً:

- وما هي هذه الأدلة الخافية التي سيادتك حصلت عليها!.

يوجه "عماد الحسيني" حديثه إلى النائب العام:

- عند حضرتك يافندم بالأدلة من سنتين قام "أحمد المسلم" بالإفراج عن طالب في كلية الطب من سرايا النيابة بكفالة 1500 جنيه برغم أن في محضر المباحث قبضت على الطالب وبحوزته مجموعة من المواد المخدرة التي

توصله لحد الاتجار وحبس أصحابه الباقين على ذمة التحقيق .. أظن ده ممكن على الأقل يؤكد اتهام رجل الأعمال "مصطفي زهران".

ابتسم "حسن" لسخافة "عماد الحسيني" قائلاً:

- تخيل ! خداعك من أعطاك هذه المعلومة الخارقة .. ألم تعلم أن الطالب الذي أفرج عنه ابن موظف قادح في وزارة الزراعة يحتاج أصلاً لمعونة.

"عماد الحسيني":

- لكن هذا مخالف للقانون.

"حسن":

- من الواضح إن حضرة الضابط لا يعرف شيئاً عن القانون .. الطالب الذي تعاطف معه "أحمد" نظراً لظروفه النفسية القاسية بعد استشهاد أخوه المجند على الحدود .. عُين حالياً مدرساً في كلية الطب ومقدم بحثاً علمياً لرسالة الماجستير كل المجلات العلمية على مستوى العالم تهتم به .. وبالمناسبة الذي دفع الكفالة هو "أحمد المسلم" ومن الممكن كان أخرجه بدون كفالة نهائياً وعنوان الطالب أنا ممكن أعطي لك لتسأله بنفسك .. يا حضرة الضابط الرحمة تولد العدل والعكس يبقي ظلماً.

النائب العام:

- نحن الآن في قضية "مصطفي زهران" ما هو الجديد يا "حسن"؟.

"حسن":

- قبل أي شيء يوجد سؤال من المفترض أن يجاوب عنه حضرة الضابط .. هل عندك أن "أحمد" هو الذي قتل زوجته؟.

ابتسم "عماد الحسيني" نفس ابتسامه "حسن"، سأله:

- وما علاقة هذا بموت "مصطفي زهران".

"حسن" بحده:

- سؤالي واضح هل "أحمد المسلم" هو من قتل زوجته؟.

"عماد الحسيني":

- طبعا لا.

"حسن":

- سيادة المستشار الرصاصة التي سكنت جبهة رأس "مصطفي زهران" من نفس نوع المسدس الذي نفذ في جريمة قتل زوجة "أحمد المسلم" مدام "نهى" (يقدم الملف) والملف الثاني خاص بالسيد وكيل النائب العام "سامي صلاح" في قضية قتل "مصطفي زهران".

أخذ "حسن" من الملف ورقة يظهرها للنائب العام، يرتدى النائب العام نظارته الطبية ينظر في الورقة و"حسن" يشرح له:

- وأمام سيادتك تقرير الطبيب الشرعي الذي يوضح إصابة الرامي في نفس المكان للجثتين والأغرب من هذا قرب المسافة ووحشيته في تنفيذ الجريمتين.

يكمل "سامي":

- وهذا يا سيادة المستشار يجعلني أقف أمام شيء هام أن القاتل محترف من الواضح أنه مدرب بشكل بارع في استخدام المسدس .. ولا أظن أن "أحمد المسلم" على أقل الأسباب يتمتع بهذه المهارة.

"حسن":

- وقبل ما الشك يراود حضرة الضابط ليلة حادثة قتل مدام "نهى"، "أحمد" من أول النهار كان في مكتبه يتابع حادثة اختطافها مع كافة الجهات الأمنية.

"عماد الحسيني":

- وماذا تفسر وجود مسدس "مصطفي زهران" عليه بصمات "أحمد المسلم" في مكان الحادث؟.

"سامي":

- حضرة الضابط ليس هذا المسدس الذي نفذ به الجريمة.

"عماد الحسيني":

- على الأقل يثبت أن "أحمد المسلم" كان في موقع الجريمة.

"حسن":

- وربما لم يذهب إلى هناك نهائياً!.

"عماد الحسيني":

- ماذا تعني؟.

"حسن":

- أنا أطالب يافندم إعفاء الرائد "عماد " من القضية وتكليفها لضابط آخر يكون من المباحث الجنائية تحدده إدارة البحث الجنائي.

"سامي":

- غير أنني أطالب بتحويله للتحقيق بتضليل النيابة وإخفاء بعض المعلومات.

"حسن":

- مثل إنكاره لوجود "أحمد المسلم" وقت الحادث داخل أحد المستشفيات يتبرع بدمه.

توجه إليه "عماد الحسيني" بعصبية:

- على استعداد فوراً أحضر ورق أنني أيضاً كنت أتبرع بدمي وقت الاجتماع.

النائب العام:

- إغلاق قضية "مصطفي زهران" في الابتزاز والرشوة ضد وكيل النائب العام "أحمد المسلم" .. وبالنسبة لقضية مقتل "مصطفي زهران" أنت المتولي تحقيقاتها رسمياً وأمامك أسبوع لمعرفة القاتل وتقديمه للمحكمة إلا سوف أتخذ إجراء لا تحبه .. ولحين الانتهاء من التحقيقات "أحمد المسلم" موقوف عن العمل وتوجيه النيابة العامة الاتهام والتحقيق بشأن ما منسوب إليه.. لكن هذا لا يمنع عدم اتخاذ أي قرار منفرد بشأن "أحمد المسلم" وخاصة منك يا حضرة الضابط .. قبل كل هذا.. التعتيم التام وإلزام السرية مفهوم طبعاً.

اعترض "حسن":

- سيادة المستشار ليس هذا جزاء "أحمد المسلم" والكل هنا يعرفه جيداً ويعلم من هو "أحمد المسلم" أكثر من حضرة الضابط الذي أصبحت كل مهمته إدانة "أحمد المسلم".

النائب العام:

- سيادة الوكيل أنا أعلم شغلي جيداً.

ويخلع النظارة الطبية .. اعترضه "حسن" مرة أخرى:

- لو تم وقف "أحمد" عن العمل يبقى أنا أيضا أتقدم باستقالتي من السلطة النيابية.

عارضه المحامي العام:

- "حسن" لا داعي لهذا الحديث الآن وثق تماماً إن "أحمد" يهمنا مثلك.

النائب العام:

- تفضلوا.

وأشار لهم بالخروج ولم يقصد بهذا المحامي العام، يقفان استعداداً للمغادرة ويمد "حسن" يده ليأخذ ملف القضية يمنعه النائب العام **قائلاً:**

- اتركه يا "حسن" وحسابك معي فيما بعد.. تفضلوا وانتظر أنت يا "سامي" قليلاً.

نظر "سامي" إلى "حسن" وجلس مكانه مرة أخرى، خرج "عماد الحسيني" و"حسن" من المكتب يسيران في بهو مكتب النائب العام، يتقدم "حسن" بخطوتين يضع في فمه سيجارة ويفتش عن القداحة، **يتبعه "عماد الحسيني" قائلاً:**

- أنت محامي رائع.. خسارة كنت على أقل تقدير لا تستطيع أن تحدثني بهذه اللهجة.

أخرج حسن القداحة ويضع السيجارة بين أصابعه قائلاً:

- حتى ولو افترضتنا كنت استطعت أكلمك بأسلوب آخر لا تحب أنت سماعه .. لأن أنا عمي مساعد وزير الداخلية اللواء "سليم فياض" أكيد أنت تعرفه جيداً .. نعود للواقع وكل واحد منا يعيش حقيقة منصبه.

"عماد الحسيني":

- الواقع أن "أحمد المسلم" لن يتنصل من العقاب.. وسوف ألعب معه نفس اللعبة القانون بالقانون.

يقف "حسن" قائلاً:

- القانون نحن فقط الذي نمثله ونشرعه وفي النهاية القرار يعود لنا فقط .. وبالمناسبة أنت شخص مغرور ومخدوع في تجميع الأدلة.

يسبقه "حسن" بخطوة، "عماد الحسيني" في مكانه قائلاً:

- ربما! لكن أنا رجل أهتم بعملي والنهاية أنا أعرفها جيداً.

يقف "حسن" يشعل السيجارة ثم ينظر إليه قائلاً:

- ونحن من يضع للنهاية عنواناً.

يتركه "حسن" و"عماد الحسيني" يدقق في كلام "حسن" له كله، يشعر أنه تفاجأ من شيء جعله يبحث عن خيط آخر .

******

- 20 -

اجتمع "أحمد المسلم" و"حسن" في المقهى، معهما "أكرم" جالساً بمفرده على الأريكة المواجهة لهما خالعاً معطفه متكئاً على الأريكة، تحت كتفه حامل المسدس .. يسمعهما.

"حسن":

- ماذا تقصد بوجود طرف ثالث؟.

"أحمد" بعد ما اشتد بينهما الحوار قائلاً:

- أعني أنه يوجد طرف يريد توريطي بأي شكل.

بعصبية يطيح بالكوب من أمامه، اتجهت إليه نظرات الناس لكنه لا يبالي ويستمر في حديثه:

- على استعداد تام أخسر كل شيء ولو كان عمري مقابل أن أمسك بالقاتل.

أتى النادل لينظف المكان، أشار له "أكرم" من بعيد بالابتعاد.

"حسن":

- ممكن أن تهدأ.

"أحمد":

- أنت تنظر فقط تحت قدميك.. ما تتحدث يا "أكرم".

يبتسم "أكرم" ويقوم عنه بالرد "حسن":

- فيمن تشك؟.

"أحمد":

- ليس غيره الذي يسعى جاهدا في توريطي.

نظر حسن إلى "أكرم" مندهشاً، ثم نظر إلى "أحمد المسلم" قائلاً:

- "أحمد" أنت عشت ظروفاً صعبة الفترة الماضية وتحتاج لبعض الراحة .. بعد ميعادك غداً في النيابة سوف نتحدث ونري ما علينا فعله.

"أحمد" ساخراً:

- ما تضعني بالمرة بمستشفى أمراض عصبية.

يقف "أحمد" فوقف "حسن" أمامه قائلاً:

- "أحمد" تحتاج للراحة.

يعلو صوت "أحمد" وكأنه في حالة شجار:

- أنا مازلت عاقلاً ولم أخرف.

قابله صوت "حسن" بنفس الطبقة:

- يبدو أنك نسيت أنك كنت في مكان الحادث.. وكل ما يجري برأسك أوهام دعنا نساعدك بهدوء قبل أن تضيع نفسك.

"أحمد":

- لا تقلق عليَّ أنا لست طفلاً صغيراً أحتاج لأحد يعبر بي الطريق .. لكن الذي لا تعرفه أن مسدس "مصطفى زهران" الذي بين أيدي الشرطة مازال معي يا سيادة الوكيل!.

هدأ "حسن" ويضع يده على وجهه يمسح آثار العصبية والناس حولهم ينظرون إليهم وكأنهم يشاهدون فيلماً، نظر إليهم "أكرم" جميعاً فيهرب بنظراته الحادة .

"حسن":

- اجلس حتى نتحدث.

"أحمد":

- انتهى الحديث.

نهض كي يرحل، مسك "حسن" يده:

- انتظر يا "أحمد".

"أحمد":

- لو مازلت باقياً على صداقتنا يا "حسن" اتركني أرحل حتى لا تجعلني أخسر كل شيء.

ترك "حسن" يد "أحمد" فرحل .. نظر "حسن" إلى "أكرم" الذي رد عليه:

- ضع نفسك مكانه.

ذهب في الصباح "أحمد المسلم" إلى مكتب وكيل النائب العام "سامي"، واقفاً أمام الباب منتظراً خروج العسكري بعد أن دخل للاستئذان له. بداخل المكتب "سلمى" جالسة أمام "سامي" ومعهما الكاتب يدون ما تقول.

العسكري:

- "أحمد المسلم" طلب الدخول.

ظهر الفزع على وجه "سلمى".

"سامي":

- أدخله لا تجعله ينتظر.

من على الباب نادى عليه العسكري:

- تفضل.

دخل "أحمد" وهو يخلع نظارته السوداء من على عينيه، وقف "سامي" قائلاً:

- أهلاً يا "أحمد" بيه.

صافحه "أحمد" و"سامي" يده مازالت ملعقة في يده قائلاً:

- كنت أتمني أن أتعرف عليك في ظروف غير هذه.. وما رأيك لو نرفع بينا التكليف.

"أحمد":

- يكون أفضل.

"سامي":

- تفضل بالجلوس.

جلس "أحمد" أمام "سلمى" التي تنظر أرضاً قائلاً:

- كيف حالك يا مدام "سلمى"؟.

"سلمى":

- بخير.

"سامي":

- أنتما تعرفان بعضكم!.

"أحمد" مندهشاً:

- وأنت كنت سألت وأنا أنكرت!.

ابتسم "سامي" قائلاً:

- "أحمد" قبل أي شيء لازم تفهم إنك هنا ليس ..

"أحمد":

- قبل كل شيء لازم تعلم إن مدام "سلمى" ليس لها علاقة بادعاءات الضابط "عماد الحسيني".. وإنها سيدة محترمة كل ما تريده أن تعيش بسلام تربي ابنها.

"سامي":

- "أحمد" من حقي أسألك كيف تعرفت عليها؟.

حاولت "سلمى" الإجابة أشار لها بعدم التحدث قائلاً:

- ما هي معلوماتك عن مدام "سلمى"؟.

"سامي":

- تقصد التحريات أم ..

رفع "أحمد" يده ليكمل حديثه:

- وأنا لا أريد أكثر من ذلك فأنا مثلك كنت أحقق في قضية شقيق زوجها.

ما قصده "أحمد" تفهمه "سامي" قائلاً:

- وأنا لن أكثر معك الجدال في هذا الشأن كثيراً.. لكن لابد أن تعرف أيضا أنك هنا لست متهماً.

"أحمد" مستنكراً:

- أنا سئمت من تكرار هذه الكلمة.. من فضلك أسأل مباشرة وأنا سوف أجاوب.

"سامي":

- مدام "سلمى" قالت إنها تعرفت عليك صدفة وأنت تقول عكس ذلك!.

"أحمد":

- وهى لم تكذب عليك.. لأنها كانت متخيلة أن معرفتي بها تمت كذلك

ابتسم بسؤاله "سامي":

- أعجبت بها؟.

"أحمد":

- من الممكن أن تسأل أي طبيب نفسي أو أي إنسان عادي .. لو إنسان زوجته قتلت وهي حلمه هي الحياة التي طالما أحبها .. هل من الممكن من بعدها بأيام أو حتى سنوات أن ينسى بكل سهولة منظر دمائها وهي مقتولة وبسببه.. ويكون لديه المساحة أن يعشق ويحب!.. ولو وجدت لعلك تسأله كيف استطاع؟.

"سامي":

- ما هو سبب معرفتك بها؟.

"أحمد" مندهشاً:

- الم أقل لك أني هنا لأدافع عن نفسي ! .. السبب هو إحساسي بظلم أن زوجتي مقتولة وفي أحشائها طفلي.. السبب أنني مثلك كنت أجلس على هذا الكرسي أجلب للناس حقوقهم.. وأنا لستُ قادراً على أخذ حقوقي وأيضا أصبحت أمام القانون متهماً.. الرجل الذي قتل زوجتي هو من يتهمني! شيء غريب لم أره من قبل في حياتي.. كنت أبحث أن أحرق قلبه على كل شيء ولم أر إلا "كريم" حفيده.

أشار "سامي" إلى الكاتب الذي يدون الحديث بأن لا يكتب الجملة الأخيرة

"أحمد" يتابع:

- لكن أنا لست بسفاح ولا هذه السيدة لها ذنب.

"سامي" بعد ما تأكد أن الكاتب لم يدون شيئاً، فسأله:

- هل لديك أي علاقة بمقتل "مصطفي زهران"؟.

"أحمد":

- أتمنى.

نظر "سامي" إلى الكاتب جعله يكتب الإجابة:

- لا.

ثم يسأل "أحمد":

- هل تنكر كل التهم الموجهة إليك.

نظر "أحمد المسلم" إلى "سامي" وأخذ نفساً عميقاً قائلاً:

- نعم.

"سامي":

- ممكن يا "أحمد" تتفضل بالسلامة.

"أحمد":

- ممكن أن تبعد مدام "سلمى" عن أي تحقيق.

نظر "سامي" إلى "سلمى" بابتسامة خفيفة قائلاً:

- بالتأكيد .. ممكن يا مدام "سلمى" تنصرفي مع "أحمد" بيه وسوف أقوم بأمر الضابط "عماد الحسيني" عدم التعرض لكِ.

يقف "أحمد" و"سلمى" فيقف "سامي" قائلاً:

- للمرة الأخيرة وجودك هنا ليس لأنك متهم لكنك تعلم القانون .. وأنا تشرفت بمعرفتك ومحنة سوف تمر وتعود لعملك قريباً.. وعليك أن تعلم أن قضيتك أصبحت قضية كل عضو في السلطة القضائية والنيابية.

يمد يده يصافح "أحمد المسلم" فتذكر "سامي" شيئاً مهماً:

- "أحمد" كان أبلغني "حسن" أنك وقت حدوث الجريمة كنت في المستشفى تتبرع بالدم.

"أحمد":

- أنا ما ...

قبل أن ينكر أجابه "سامي":

- أنا سوف أنتظر أن ترسل لي الورق مع "حسن".. ممكن؟.

"أحمد":

- ممكن.. مع السلامة.

خرج "أحمد" من المكتب وخلفه "سلمى" التي تحاول أن تكلمه، لكن يوقف الخجل لسانها.. واستمرت خلفه تسير وهى تحاول أن تقوى على نفسها وتكلمه، وعند باب الخروج من مبنى النيابة تدرك "سلمى" أن الفرصة أوشكت على الضياع، عند نزوله أولى درجات السلم يقف "أحمد المسلم" **سألها وهى تفتح شفتيها لتنادي عليه قبل غروب المقابلة:**

- المسدس كان خاصاً بـ"مصطفي زهران"؟.

تغير "سلمى" حركة شفتيها لتصيغ الكلام من جديد:

- ربما! أنا أخذته من مكتبه .. حقا أنا نادمة لم أكن أعرف أنني سوف أكون خيطاً في هذه اللعبة.

نزل "أحمد السلم"، وهي تتبعه الخطوة يصلان إلى نهاية الدرج، يقفان يخرج لها كارتاً قائلاً:

- هذا رقم هاتف أعز أصحابي هو أيضا يعمل في النيابة العامة ويعرفك .. إن احتجت أي شيء أو ضايقك "عماد الحسيني" اتصلي به وهو سوف يتصرف.

أخذت منه الكارت وارتدي "أحمد" نظارته وتابع:

- لا أحد الآن يحاول أن يؤذيكِ لكنك أنت مصممة تعيشين دور الضحية .. وهذا الدور انتهى بموت "مصطفي زهران" .. أنت مازلت شابة وأمامك أعذارك .. من الممكن البدء من جديد.

"سلمى":

- هذا شأني.

"أحمد":

- وأنا أتمنى لكِ الخير.

"سلمى":

- ممكن أسالك ماذا تنوي فعله في حياتك القادمة؟.

"أحمد":

- أعرف من قتل "نهى" ولو كان لي عمر آخر أعيشه سأكمله خارج البلد .. اعتني بـ"كريم" وأمك ونفسك.

"سلمى":

- وأنت أيضا.

ترحل "سلمى" وهو أيضًا لا يقف، يأخذ اتجاهاً آخر وكأنما لا يجمع بينهما طريق في الحياة .

يرهق الليل الضابط "عماد الحسيني"، ويطير من عينيه النوم والراحة، يتكئ برأسه على ظهر السرير يتأمل كل الأحداث، كالذي يعيد مشاهدة فيلم ولكن كمتفرج وليس كناقد، توجعه الأحداث عندما يمر بوفاة زوجة "أحمد المسلم"، يجد نفسه كمتفرج في مكان البطل فيخشي على روحه الأحداث وبدون شعور منه ينظر على زوجته النائمة بجانبه يطمئن عليها، يلعن بابتسامة تخيل فقدها، يشد عليها الغطاء ويضمها بين أهدابه.

يعود لحاله، يأخذ علبة السجائر والقداحة .. يخرج من الغرفة وقبل أن يُشعل السيجارة يتوقف واتجه لغرفة ابنته يجلس بجانب رأسها يمشط بأصابعه

شعرها ويتخيل ببراءة وجهها باقي الأحداث وكأنها كالشمس للقمر تمده بالنور ليضئ لليله.

بعد أن أخذ مكان "أحمد المسلم" يرى غموضاً أكثر، يفيق من خياله وكأنما أفزعته فكرة لم ترد بباله قبل الآن .. **مثل الوحي للمبدع يلوم نفسه:**

- كيف لم أفكر في هذا من قبل!.

فيقوم مسرعاً لا يطيق أن ينتظر الوقت، قبل أن يخرج من الغرفة يقف يعود يقبل ابنته وكأنما يشكرها، يخرج إلى الصالة ومعه يشاركه في أرق هذه الليلة "أحمد المسلم" الذي يقف بالشرفة واضعاً أمامه على السور قفص العصافير، يسمع زقزقتها التي ترجعه للماضي، **يسمع صوت زوجته من وراء الماضي تسأله:**

- لمَ عصفوران ولمَ لا تكون ثلاثة؟.

وصوته وهو يرد عليها:

- هذا أنا وأنتِ.

زوجته بلوم يغير طبقة صوتها:

- حرام علينا حبسهما في قفص.

صوته من الماضي:

- طوال هما مع بضعهما البعض يشعران بالحرية .. حتي لو في قفص أقل من هذا.

عاد "أحمد" إلى الوقت الحالي يكلم العصافير:

- ربما تجدان السعادة أكثر عندما تحلقان في السماء وبين كل غصن وغصن.

يفتح لهما باب القفص فيطيران، يستمر يحدق إليهما وهما يبعدان عنه، يريد أن يبستم لفراقهما، لكن فقد وجهه معنى الابتسامة لا يستطيع أن ينقشها بين شفتيه، وإعصار الأحزان يهاجمه في كل لحظة.

نفد صبر "عماد الحسيني" من الانتظار، يفزع "حسن" عند دخوله مكتبه في الصباح والعسكري يفتح له الباب فُصدم برؤية "عماد الحسيني" جالساً أمامه، **سأله:**

- ماذا تفعل في مكتبي؟.

وقف "عماد الحسيني":

- أنا هنا لأجل "أحمد المسلم".

جلس "حسن" على كرسيه، يفرغ حقيبة يده من ملفات:

- ماذا تريد؟.

اقترب "عماد الحسيني":

- أنا وأنت نعلم جيداً إن "أحمد" كان في مكان الحادث.

يرتب "حسن" أمامه أوراقه مندهشاً:

- هل هذا استجواب يا حضرة الضابط؟.

يستند "عماد الحسيني" على المكتب قائلاً:

- لا يا "حسن" بيه .. لكن يوجد سؤال إن وجدت له جواباً سوف تنحل أمامي ألغاز كثيرة وعليك أن تساعدني في ذلك.

"حسن":

- ماذا تريد أن تعرف؟.

"عماد الحسيني":

- تعرف وكيل النائب العام لدائرة الهرم؟.

"حسن":

- لا.

"عماد الحسيني":

- عظيم و"أحمد"؟.

"حسن":

- لا أظن.

"عماد الحسيني":

- لا تظن؟.

"حسن":

- ليس لـ"أحمد" صاحب غيري .. إنما أنت ماذا تريد؟.

"عماد الحسيني":

- كنت محقاً أنا تم التلاعب بي.

ابتسم "حسن" ابتسامه خفيفة:

- ومغرور أيضاً!.

مع نفس نور الصباح داخل تاكسي، تَقِل "سلمى" "كريم" إلى المدرسة، يصل التاكسي إلى باب المدرسة و"كريم" جالساً يريد قول شيء.

"سلمى":

- هيا يا "كريم".

"كريم":

- ماما خائف أقول شيئاً لكِ وتغضبين مني؟ أنا حلمت بعمي "أحمد".

"سلمى" بابتسامة:

- وأنا لمَ سوف أغضب منك؟ هذا ليس بيدك!.

"كريم":

- لستُ غاضبة.

"سلمى":

- لا.

"كريم":

- أين هو الآن؟.

بتلجلج أجابته:

- سافر.

فقد مر "كريم" في طفولته بهذه الكلمة كثيراً، رد قائلاً:

- لماذا كلما أحببت أحداً يسافر؟.

"سلمى":

- كريم!.

"كريم":

- أنتِ التي أمرته أن يرحل.

"سلمى":

- "كريم" انتهي الحديث في هذا الشأن وهيا لتلحق مدرستك.

خرج "كريم" من التاكسي، غاضباً يدخل إلى المدرسة مباشرة دون أن يقف عند الباب يودعها .

وبين "عماد الحسيني" و"حسن" مازال الحديث مستمراً أمامهما فنجانا القهوة فارغين.

"عماد الحسيني":

- أهم شيء الآن "أحمد" لا يعرف شيئاً عن لقاءنا.

"حسن":

- المهم أن تبدأ من حيث انتهيت.

"عماد الحسيني":

- أنا آسف.

قام "عماد الحسيني" فيقوم معه "حسن"، يفتح له الباب، يعطيهما العسكري التحية.

"عماد الحسيني":

- وأنا سوف أفعل المستحيل.

"حسن":

- وأنا سوف أتابع مع سيادة المستشار.. لكن ممكن أطلب منك شيئاً.

"عماد الحسيني":

- طبعاً.

يسير معه "حسن" خطوتين بعيداً عن العسكري قائلاً:

- لو سنحت الفرصة لـ"أحمد" أن يقتل من قتل زوجته لا تمنعه.

مرت ثانيه على طلب "حسن" فأجابه عماد الحسيني قائلاً:

- ربما لا يوجد اختيار آخر!.

تركه "عماد الحسيني" و"عاد حسن" إلى مكتبه يباشر باقي عمله.

داخل فناء المدرسة والتلاميذ في طابور الصباح على اختلاف سنهم، دخل "أحمد المسلم" إلى فناء المدرسة مرتدياً نظارته الشمسية، رأى "كريم" واقفاً بين التلاميذ، ينظر إليه نظرة الأب على ابنه .

يصدر صوت المدرس في ميكروفون الإذاعة:

- تحية العلم.

نظر "أحمد المسلم" على العلم، وخلع نظارته ليراه أكثر، وعيناه عليه تقترب وكأنه يلومه على أنه تنفس الظلم تحت رايته.

يحيي الأطفال العلم فيرتدى نظارته وكأنه يسخر من العلم ويخرج .

في غرفة البحث الجنائي يجلس "عماد الحسيني" مع ضابط المعلومات أمام جهاز الحاسب يبحثان فيه، **يبدأ "عماد الحسيني" بالكلام قائلاً:**

- عملنا كله مبني على الشك.

الضابط:

- أوامرك يافندم.

بدأ الضابط بإدخال البيانات، تظهر أمامه معلومات وبيانات، "عماد الحسيني" قائلاً:

- ابحث هنا.

يبحث الضابط قائلاً:

- تم القبض عليه وتنفذ فيه عقوبة الإعدام.

"عماد الحسيني":

- ليس هذا ما أبحث عنه.

يبحث الضابط مرة أخرى فتظهر له معلومات أخرى قائلاً:

- هذا الرجل آخذ حكم مؤبد.

"عماد الحسيني":

- الذي أبحث عنه ليس في كل هؤلاء.

الضابط:

- أعرف ما تريد البحث عنه ولكن علينا نجرب كل المحاولات.

مر الوقت والحال مازال مجهولاً .. نظر "عماد الحسيني" في ساعة يده يائساً:

- مضت ساعة ولم نأت بأي نتيجة .. أنا في مكتبي.

خرج "عماد الحسيني"، ينظر الضابط أمامه على شاشة الحاسب يكلم نفسه:

- عملنا يبدأ بالشك وأنا دائما أسوأ الظن في الناس .. أكون على هذا موهوب وأنا لم أشعر.

وأدخل بيانات جديدة ويرفض أن يستسلم فيطلب فنجان قهوة ليستعد للجولة.

"عماد الحسيني" في مكتبه متكئا على كرسيه يظهر عليه الإرهاق، أمامه على المكتب أوراق متفرقة فوقها نظارته الطبية، **طرق الباب فيقول وهو على حاله:**

- أدخل.

دخل عليه ضابط المعلومات في يده ملف على وجه ابتسامة عريضة قائلاً:

- أظن وجدت ما تبحث عنه.

ينهض "عماد الحسيني" من مكانه، يأخذ منه الملف ينظر فيه، فيعطيه الضابط نظارته الطبية من على المكتب، **يفسر له عن أسباب بحثه:**

- فكرت أن أبحث عن الضباط الذين تم فصلهم من الخدمة وكانت هذه النتيجة.

جلس "عماد الحسيني" وجلس أمامه الضابط يكمل:

- هذا الرجل ضابط شرطة تم فصله من الخدمة.

"عماد الحسيني":

- السبب؟.

الضابط قائلاً:

- **جريمة قتل** .. سوء استخدم السلاح .. وفي المكان ذاته منتصف جبهة الرأس .. ولن تندهش لو عرفت أن هذا الضابط المفصول كان يخدم في شرطة الآثار .. وحامت عليه الشكوك في كل عملية قام بها .. غير إنه عنده حالة

نفسية ومثبت عندك في التقرير تقرير مستشفى الشرطة الذي أوصى بفصله من الخدمة .. يعني عليك الحذر منه ولا تخبره عني أنا على أبواب الزواج.

ابتسم "عماد الحسيني" قائلاً:

- ستندم بعد إن لم تتعرف عليه! .. تفضل أنت.

الضابط:

- أوامر سيادتك .. عن أذنك.

اتجه الضابط نحو الباب، يناديه "عماد الحسيني" فيقف الضابط ناظراً إليه.

"عماد الحسيني":

- شكراً يا حضرة الضابط وفرت أمامي مشواراً طويلاً.

ابتسم الضابط لهذه الثقة، وترك "عماد الحسيني" مع نفسه يعيد ترتيباته، نظر في الملف ويتكئ على الكرسي يرتاح بعد مشوار بحث طويل على أول خيط.

******

- 21 -

داخل شقة "أحمد المسلم" نائماً على ذات الأريكة، يقرع بجانبه هاتف المنزل، يستيقظ ولا يحاول أن يقوم بالرد يترك آلة الرد تقوم بالرد.

صوت المتصل:

- باختصار معك 2 مليون دولار خاصتي وعليك أن تعيدهما لي .. وكن حذراً هذه المرة ..

فسمع صوت "كريم" يستغيث به:

- عمو "أحمد" .. عمو "أحمد".

صوت المتصل:

- أعد تشغيل هاتفك المحمول حتي أستطيع التواصل معك.

ينهض "أحمد" ينقض على السماعة ليلحق المتصل:

- آلو .. آلو .. آلو.

ومن عصبيته رمى السماعة على الأرض، جلس بجانبها ينظر على صورة زوجته ويكلمها:

- لن أترك حقك.

رفع سماعة الهاتف وتأكد أنها سليمة، يضعها مكانها ويقوم يأخذ هاتف زوجته وهاتفه يقوم بتشغيله بعد إغلاقه لفترة.

يبحث عن مفاتيح السيارة، يجد مفاتيح سيارة زوجته يقوم بتقبيلها. . ثم يتركها ويأخذ مفاتيح سيارته، اتجه إلى الباب ذاهباً إلى "سلمى" في الفيلا.

فتحت "سلمى" باب الفيلا لتخرج، تفاجأ أمامها بـ"أحمد"، تقول له وهى تتجه للخروج:

- آسفة يا "أحمد" بيه أنا مشغولة.

رفع يده قليلاً أمام صدرها يحتجزها قائلاً:

- أعلم .. أنكِ ذاهبة لمدرسة "كريم".

نظرت "سلمى" إلى يده باعتراض:

- ممكن عن أذنك.

دخل "أحمد" قائلاً لها وهو يخشاها:

- "كريم" ليس في المدرسة.

"سلمى" ساخرة:

- لا أظن إن "كريم" كبر لذهابه السينما.

يمشي "أحمد" للداخل ثلاث خطوات ويقف:

- كريم تم اختطافه.

اقتربت "سلمى" منه وهى تحاول ألا تصدقه:

- هل أنا سمعتك جيداً .. أم إنك تمزح.

"أحمد":

- "كريم" تم اختطافه من المدرسة.

انهارت في وجهه:

- حرام عليك ألم تطفئ نار الانتقام من قلبك ! أين "كريم"؟.

"أحمد":

- كريم خطف بسبب جده.

"سلمى":

- أقسم إن حدث لـ"كريم" شيء لن يكفيني عمرك .. حرام عليك أين ابني؟.

"أحمد":

- يعلم الله أنني مثلك قلقان على "كريم".

جلست "سلمى" على الكرسي قائلة:

- ماذا تريد منا؟.

"أحمد المسلم" كالمسكين الذي شبع من الدنيا ظلماً ينكسر:

- أنا لا أريد منك شيء .. ولا أعلم لمَ يكثر قدري لقاءنا.

"سلمى":

- أتسألني أنا!.

دخل عليهما "عماد الحسيني" يحمل في يده صورة قائلاً:

- حقاً "أحمد" بيه صادق ولا يعرف مكان ابنك!.

واتجه إلى "أحمد المسلم" قائلاً:

- أنا آسف أتلعب بي مثلك.

يمد "عماد الحسيني" يده ليصافحه .. رفض قائلاً:

- هذه مشكلتك؟.

قامت "سلمى" أمام "عماد الحسيني" تسأله:

- أين ابني ؟.

"عماد الحسيني":

- لا تقلقي أنا عرفت من خطفه.

"سلمى":

- حقاً ما تقوله؟ أم أنت تهدئ من روعي؟.

"عماد الحسيني":

- وأنا من أين كنت أعرف أن "كريم" تم اختطافه! .. اطمئني يا سيدتي.

التفتت "سلمى" إلى "أحمد":

- أعتقد يا "أحمد" بيه أن وجودك هنا ليس مرغوباً به.. تفضل بالخروج منذ أن دخلت حياتنا وكل شيء حولنا يتهدم .

أجابها "أحمد" وهو يسخر بملامح وجهه:

- أي حياة تتحدثين عنها؟!.

أخذ يصيح وهو ينظر في كل اتجاه في الفيلا:

- تقصدين الجنة التي كنت مخلدة بها وأنا أتيت وأخرجتك منها؟! أم تقصدين الحياة التي كانت من قبل أنتِ تعيشين فيها أرملة مقهورة أشبه بالخادمة التي تسكن أطراف القصر.. مُحرم عليكِ كل شيء.. أمك وأهلك وأصحابك حتى ابنك كنتِ سوف تُحرمين منه أيضا.. أنتِ بي أو من غيري ضائعة لكن أنا أيضاً لن أترك "كريم" .. وليس هذا لأجلك.. لأنني لن أتحمل ذنباً آخر.

حاول "أحمد" الذهاب فقال له عماد الحسيني:

- انتظر الآن طريقنا أصبح واحداً.

"أحمد":

- أنا بدأت هذا الطريق وحدي وسوف أكمله أيضا وحدي.

"عماد الحسيني":

- القاتل سيتم القبض عليه الليلة.

"أحمد":

- وأنا لا أريد أن تقبض عليه .. أنا سوف أقتله.

"عماد الحسيني":

- أنت بهذا سوف تعرض حياتك للخطر.

"أحمد":

- لا أحد اليوم يبكي على الدنيا.

حاول "أحمد" الذهاب مرة أخرى، فمسك "عماد الحسيني" بمعصمه قائلاً:

- ألا تريد أن تعرف من قتل زوجتك؟.

وقف "أحمد"، سأله:

- من؟.

يعطيه "عماد الحسيني" الصورة، نظر "أحمد" في الصورة قائلاً:

- هذا من قتل "مصطفى زهران".

وأعاد الصورة إلى "عماد الحسيني" ويتركهما، يبقى "عماد الحسيني" ينظر إلى "سلمى" التي طلبت منه بلهفة:

- لا تتركني انتظر هنا.. أرجوك.

"عماد الحسيني":

- وجودك هنا يعرضك للخطر.. وربما تكونين هدفاً الليلة أيضاً للضغط على "أحمد المسلم".

فيفكر لثواني قائلاً:

- تعالٍ معي.

يأخذها إلى شقته ويعرفها على زوجته قائلاً:

- هنا يا مدام "سلمي" ستكونين في أمان أكثر.

"سلمى":

- وابني؟.

"عماد الحسيني":

- سأعيده لك إن ألتزمت بالمكوث هنا .. أعدك.

الزوجة بابتسامة عريضة:

- اطمئني طالما وعدك بهذا.

ابتسم في وجهها "عماد الحسيني" وخرج .

قبل الغروب في الطريق الصحراوي، يقف "أحمد" بسيارته بجانب الطريق يتحدث في هاتفه، **صوت المتصل:**

- أدخل المدخل القادم وانتظر .. وارم الآن هاتفك خارج السيارة.

من عدسة كاميرا مكبرة يرى منها هذا الرجل "أحمد"، يرمى هاتفه من نافذة السيارة، يشغل "أحمد" السيارة ويلف في الاتجاه العكسي، وأمامه فوق قدمه هاتف زوجته يتصل بـ"أكرم" من عبر السماعة الخارجية للهاتف، **وانتظر "أحمد" قليلاً قبل أن يجيب على "أكرم" الذي لازال يقول:**

- آلو .. آلو.

انتظر أحمد مرور شاحنة نقل كبيرة تقترب منه، لتغطى عليه المراقبة في ظل هذه السيارة تكلم "أحمد":

- المدخل القادم وحدد مكاني عن طريق هاتف "نهى".

أنهى "أحمد" المكالمة وتعجب "أكرم" المنتظر في سيارته قبل أن يتحرك بالسيارة.

دخل الليل أبواب عتمته و"سلمى" تتحرك في الصالة كموج البحر الغاضب، بجانبها زوجة "عماد الحسيني" التي حاولت أن تطمئنها:

- اطمئني سوف يعود لك ابنك.

جلست "سلمى":

- أنا لن ارتاح إلا و"كريم" بين أحضاني.

الزوجة:

- سيعود.. لكن تصوري أنني أشعر بالأسي نحو قصة "أحمد المسلم".

"سلمى":

- المهم ابني.

******

- 22 -

في الصحراء بجانب معسكر عسكري قديم، خرج "أحمد المسلم" من سيارته وفي يده حقيبة المال .. أمامه سيارتان، منها السيارة التي كانت في ليلة مقتل "مصطفي زهران"، بجانب المعسكر سيارة أخرى سمراء زجاجها الملون فيميه لا يظهر من بداخلها، **قابل "أحمد المسلم" رجلين يسألهما:**

- أين "كريم"؟.

قام أحدهما بتفتيش "أحمد المسلم" يجد في ظهره مسدساً، يأخذه ويحاول أن يأخذ الحقيبة يمتنع "أحمد" ويسأله:

- أين "كريم"؟.

الرجل:

- المال أولاً.

"أحمد":

- سوف أعطيها لرب عملك.

ابتسم الرجل:

- لا أحد معي.

"أحمد":

- ويا هل ترى من المنتظر في هذه السيارة ؟!.

ونظر إلى السيارة السمراء، يفتح الباب وخرج منها القاتل في فمه سيجارة، اقترب من "أحمد المسلم" وكلما يقترب، يرى "أحمد" صورة زوجته وهى مقتولة، يقفان أمام بعضهما. **بنبرة الوعيد حدثه "أحمد":**

- أنت.

القاتل:

- أنا ماذا؟.

"أحمد":

- ستكون هذه الليلة آخر ليلة في عمرك.

ضحك القاتل ساخراً يوجه حديثه بإصبع يده قائلاً:

- أنت! أتمنى تقول لي مزحة أفضل من هذه.

"أحمد":

- إن كنت ترى حياتك مزحة فأنا أراها مأساة.

القاتل:

- وأنا أمامك.

"أحمد":

- أين "كريم"؟.

القاتل:

- بانتظارك.

يكون داخل المعسكر "عماد الحسيني"، مختفياً يراقبهما من بين فتحات الخشب.

القاتل:

- وأنا أعددت لك مفاجأة.

يفتح باب السيارة السمراء، و"أحمد المسلم" وجهه يزداد استغراباً واندهاش يسأله:

- أنت ..؟.

وكأنما يرد على "أحمد" الآن "عماد الحسيني" في نفسه:

- هو.

"أحمد":

- كيف!.

اقترب منه من يكلمه "أكرم" ومعه في يده "كريم"، يعطيه لرجل آخر، ويرد عليه "أكرم" بهمس وكأنما لا يريد أن يسمع "كريم" الحوار، ساخراً:

- المال الذي أخذته يخصني.. صفقة الآثار الذي كان يشتريها "مصطفي زهران" .. كان يشتريها مني .. وعندما أخبرتك بميعاد العملية....

أغمض "أحمد" عينيه وفتحها كمثل الذي استيقظ من النوم على ضوء الشمس ويتذكر مشاهده وهو يخفي المسدس الخاص بـ"مصطفى زهران" من خلف ظهره، بعد مغادرة "سلمى".

وحينما كان في شقة "أكرم" عندما استيقظ من النوم .. وعندما حاول "مصطفى زهران" أن يقول له شيئاً قبل مقتله، آفاق "أحمد" على واقع المشهد **بصوت أكرم:**

- كنت أتمنى من قبل التعاون سوياً ولا كنا وصلنا إلى ما نحن عليه الآن!.

سأله "أحمد":

- أنت من قمت بتبديل مسدس "مصطفى زهران"؟.

"أكرم":

- بالضبط وضعت لك في القهوة منوماً حتى تستيقظ قبل ميعاد العملية بقليل ولا تستطيع التجهيز لشيء.. لكن الحظ خدمك وهربت بذكاء من مكان

الحادث.. يبدو أن تعاملك مع المجرمين علمك الكثير وجعلك تسرق المال الذي من أجله جعلنا نلتقي من جديد.

"أحمد":

- لهذا السبب قتلت "مصطفى زهران" قبل أن يتحدث عنك!.

"أكرم" وكأنه يستهزئ:

- "مصطفي زهران" أصبح من بعد وفاة "بدر" والغباء يسيطر عليه وبدأ يشكل لنا تهديداً.. فكان لابد التخلص منه .. وبالمناسبة كان يوم عيد مولدي.

"أحمد":

- تخيلت كل شيء ممكن أتوقعه! لكن أنت؟!.

يفلت "كريم" من يد الرجل، يركض إلى "أحمد"، ينزل "أحمد" على ركبته يحضنه قائلاً:

- لا تخف.

بدون أن يلمح أحد يأخذ "أحمد" من الحقيبة مسدساً، يضعه في ظهر "كريم"، ويقترب "كريم" منه يضمه تحت ذراعيه، يرمى الحقيبة في منتصف المسافة التي بينه وبين "أكرم"، يأتي رجل يأخذ الحقيبة ويصوب القاتل مسدسه نحو "أحمد" **قائلاً:**

- الم تشتق لزوجتك؟.

وشد أجزاء المسدس يستعد لإطلاق الرصاص، **ظهر "عماد الحسيني" يطلق في صدر القاتل رصاصة قائلاً:**

- رحلة سعيدة لجهنم.

لا يفزع منه "أكرم":

- "عماد" بيه شخصياً هنا.

"عماد الحسيني":

- لمَ لا تخبرنا بعيد ميلادك كنا أحضرنا لك هدية.

أجابه "أكرم" وهو ينظر على جثة الرجل وكأنه يشكره:

- هديتك إنك خلصتني منه.

اقترب "عماد الحسيني" من "أحمد" يقف بجانبه قائلاً:

- نكمل الاحتفال جميعاً.

"أحمد":

- ويا هل تري دورك هنا ماذا؟.

ابتسم "عماد الحسيني" ساخراً:

- للتو قاتل منهم واحداً!.

"أحمد":

- لا تندهش لم أعد أعرف من مع من!.

"عماد الحسيني":

- إلى الآن أنا مع القانون .. لكنك لم تعرف أهم شيء إن كان عند "أكرم" بيه وقت كافٍ .. حتي أكمل باقي التسجيل.

يهز "أكرم" رأسه وكأنه سمح له، فسأله "عماد الحسيني":

- ممكن تخبر حضرة وكيل النائب العام لمَ قتلت "بدر"؟

اندهش "أحمد":

- "بدر" قتل!.

وكأنه يبرئ نفسه "عماد الحسيني" قائلاً:

- عرفت لمَ كانت دائما بيننا مساحة شك .. تقرير الطبيب الشرعي المبدئي كان يشكك أن "بدر" تعرض للمقاومة أثناء قطع شريان يده .. ثم جاء التقرير النهائي الذي أكد الشبهة الجنائية في وفاة "بدر".. وطبعاً بصفتك وكيل النائب العام فأصبحت خصماً مما عزز عندنا بلاغ "مصطفى زهران".

"أحمد":

- لمَ يا "أكرم"؟.

أكرم:

- بسببك أنت يا "أحمد" بيه وبسبب إلحاح والده "مصطفي زهران" .. استغللت اعترافه في مكتبك والحالة التي وصل لها.

أكمل له "أحمد":

- وأيضا تضمن باقي حقك.

يجيب "أكرم" بإشارة من رأسه بنعم ويسأل "عماد الحسيني":

- وكيف وصلت لي يا "عماد" بيه؟.

"عماد الحسيني":

- من إجابة سؤال .. "أحمد المسلم" كيف علم بميعاد عملية "مصطفي زهران" .. وأكيد أنت تعلم الباقي .. وأيضا من بعض تلميحات "حسن" بيه.

تعجب "أكرم" وكأنه يسخر:

- لا أحد يستطيع تقدير الظروف كما يشاء.

اتجه "أحمد" له وسأله بألم وكأن السؤال يذبحه عند خروجه:

- و"نهى" يا "أكرم" .. ما ذنبها؟.

السؤال ذاته أيضاً توجه به "عماد الحسيني":

- هذا السؤال أيضا يُحيرني .. لماذا أدخلت إنسانة بريئة بينكما حتى إن كنتما تعملان سوياً؟.

أجاب "أكرم" وكأنه لا يوجد مفر من الإجابة:

- كنت أتمني أن لا تصل الأمور لهذا ! وكنت في أول الأمر لا أعرف بشأن اختطافها.

"عماد الحسيني":

- لكنك في النهاية أمرت بقتلها.. وأيضا أرسلتها جثة في منطقة "حسن" صديق "أحمد" لأنك تعلم أن "حسن" بيه سيذهب شكه تجاه "مصطفى زهران" .. وبهذا شغلتهم عن القاتل الحقيقي.

"أكرم":

- أنا آسف يا "أحمد" بيه.

ونظر "أكرم" إلى جثة القاتل وتابع:

- لكن هذا الكلب كان سبباً في كل ما آلت إليه الأمور.

سأله "أحمد" ملحاً:

- ما هي الرسالة التي تركتها لي "نهي" ؟.

أجابه:

- لا أعلم.

القاتل على الأرض لم يمت، حاول أن يمسك مسدسه ليقتل "أحمد"، فلمح "كريم" تحركات القاتل، فيقوم بتنبيه "أحمد" الذي مازال يتكلم مع "أكرم":

- ماذا فعلت حتى تحرمني منها؟.

فيعطيه "كريم" في يده من الخلف المسدس:

- عمو "أحمد".

أخذ "أحمد" المسدس من يد "كريم" وهو يرى القاتل، وعلى الفور يطلق "أحمد" رصاصة تسكن منتصف رأسه، يتحول المكان لساحة تبادل إطلاق الرصاص، يهرب "عماد الحسيني" ويأخذ "أحمد المسلم" و"كريم"، **ليقوم بحمايتهما قائلاً:**

- وفرت لي رصاصة.

اختفى "أكرم" خلف السيارة السمراء، و"أحمد" و"كريم" و"عماد الحسيني" خلف سيارة أخرى.

"أحمد":

- "كريم" انزل تحت السيارة.

دخل "كريم" تحت السيارة ونظر "عماد الحسيني" إلى "أحمد"، يعطيه إشارة بدء إطلاق الرصاص. ركض "عماد الحسيني" داخل المعسكر يحتمي به وهو يطلق الرصاص، يقف بداخله بعد أن قام بتأمين نفسه، رأى رجلاً من بعيد يصوب بندقية تجاه "أحمد"، يصدر "عماد الحسيني" صفيراً إلى "أحمد" يلتفت إليه يجد "عماد الحسيني" مصوباً في اتجاهه مسدسه ففزع منه .. يظن أنه سيقتله، فيطلق "عماد الحسيني" الرصاص على الرجل من خلفه، وبإشارة من عين "عماد الحسيني" إلى "أحمد" ينظر خلفه، يلتفت يرى رجلاً مقتول .. يفهم لماذا كان "عماد الحسيني" مصوباً نحوه المسدس.

يبقى ثلاثة من الرجال، واحد منهم قوى البنية نفدت ذخيرته، والثاني يحمل رشاشاً آلياً يضرب بشكل عشوائي في كل مكان، والثالث الرجل الذي عاقبه "أحمد المسلم" برفع الحقيبة .

أخرج "عماد الحسيني" مسدسه الاحتياطيّ.. والرجل الذي يطلق الرصاص العشوائيّ، يضرب في السيارة التي خلفها "أحمد" وتحتها "كريم"، يخشي "أحمد المسلم" على "كريم"، فتجرأ وأظهر نفسه وهو يطلق الرصاص على هذا الرجل، لكن يصاب "أحمد" في ذراعه بطلقة.

يرى "عماد الحسيني" هذا، فركض نحو هذا الرجل ويقتله، ويقف بعدها يلتقط أنفاسه يأتي من خلفه الرجل قوى البنية يضرب "عماد الحسيني" ضرب مبرحاً لشدة قوته، يحاول أن يقاومه لكنه لا يستطيع، يأتي عليه "أحمد" بكل هدوء في يده المسدس، يقف أمام هذا الرجل ينظر إليه الرجل وكأنه لا يخشاه، فيطلق "أحمد" رصاصة في قدمه، فيقترب الرجل منه خطوة وكأنه لا يشعر بهذه الطلقة.

فأطلق "أحمد" عليه رصاصة في ساقه، يقوى الرجل على نفسه ويتقدم، لكن "أحمد" أمامه كالجبل يطلق رصاصة ثالثة فوق ركبته، ويرفع المسدس إلى وجه يهدده بقتله فيركع الرجل على الأرض مستسلماً، قام "عماد الحسيني" واقترب من الرجل ويركله في صدره.

نظر "عماد" إلى "أحمد" يشكره، يدخل عليهم صوت "أكرم":

- شعرت الآن بالراحة!.

نظر "أحمد" و"عماد الحسيني" ليجدا "أكرم" ومعه "كريم"، مصوباً المسدس نحو رأسه وبجانبه الرجل الثالث الذي عاقبه من قبل "أحمد المسلم"، يأمرهم "أكرم" بإلقاء الأسلحة على الأرض.

ألقى "أحمد" على الفور مسدسه، لكن "عماد الحسيني" يرفض أن يرمى مسدسه، بل يضع طلقات جديدة، نظر إليه "أكرم" أن يلقي بمسدسه كما فعل "أحمد المسلم"، **فرد عليه قائلاً:**

- هو ألقى بمسدسه لأن ذخيرته انتهت.. أما أنا كما ترى لقد حشوت مسدسي بالطلقات .. وأنت مهما فعلت فأصبح مصيرك معروفاً

"أكرم":

- لا يهمك الطفل؟.

"عماد الحسيني":

- أنت ضحاياك غلبت ضحايا طائرة منكوبة .. ولن تفرق ضحية جديدة .. منذ أن عُينت في شرطة الآثار وأنت في كل خطوة تترك خلفك الدماء .. المهم عندي أقبض عليك حياً أو ميتاً.

أخرج "عماد الحسيني" من جيبه جهاز التسجيل قائلاً:

- كل اعترافاتك مسجلة هنا ولم يبق سوى أن أسلمك وآخذ الترقية والمكافأة.

نظر إليه "أحمد" غاضباً:

- أنت كل ما يهمك الترقية والمكافأة و"كريم" هذا ليس أيضاً مسئولاً منك؟.

"عماد الحسيني":

- أنت ليس لك علاقة الآن بالقضية.

صاح فيه "أحمد":

- دائما كنت أرى فيك الحقارة لا يهمك غير الترقية حتى لو كانت سوف تكلفك حياة أبرياء.

قابله أيضا بالصياح "عماد الحسيني":

- من يعظني! الرجل الذي ضحي بزوجته خوفاً على منصبه!.

لكمه "أحمد" في وجهه قائلاً:

- أنت حقير.

صوب "عماد الحسيني" مسدسه في وجهه قائلاً:

- إن لم تغرب عني لأجعلك تخسر حياتك أيضاً وتموت خلفك براءتك .. وأظهر أمام الجميع بأنني كنت محقاً في كل الاتهامات.

لكمه "أحمد" مرة أخرى في وجهه، وحينما ترتد رأس "عماد الحسيني" من اللكمة، يلتفت ويطلق الرصاص صوب صدر "أكرم" فيسقط أكرم قتيلاً.

يلتفت "عماد الحسيني" إلى "أحمد" وهو نادم على ما قاله:

- لم يكن لديك اختيار حتى تعتقد أنك ضحيت بزوجتك.

نظر "عماد الحسيني" إلى الرجل المتبقي الذي على الفور يسلم نفسه، بعد أن رأى الكل حوله على الأرض، لا يدعي البطولة .. يركع رافعاً يده فوق رأسه، اندهش "عماد الحسيني" أنه لم يأمره بفعل هذا.

ركض "كريم" على "أحمد" يحضنه كابنه، ذهب "عماد الحسيني" يأخذ حقيبة المال، فسأل "كريم" عن أمه . فأجابه "عماد الحسيني":

- أمك عندي في المنزل.

"كريم":

- هيا نذهب لها يا عمو "أحمد".

"أحمد":

- لا اذهب أنت مع عمك "عماد".

"عماد الحسيني":

- انتظر سيارة الإسعاف أنت تنزف.

"أحمد":

- أنا بخير.

وذهب "أحمد" متجهاً إلى سيارته وتأتي سيارات الشرطة تحيط بالمكان، نظر "عماد الحسيني" عليهم ساخراً:

- دائما تأتون متأخرين.

وقف "أحمد" أمام جثة قاتل زوجته يكلمه:

- ماذا أخذت الآن؟.

يفرغ في جميع أنحاء جسده ذخيرة المسدس فيصوب أفراد الشرطة عليه أسلحتهم، فركض نحوه "عماد الحسيني" وهو يصيح:

- انتظروا.

يقف "عماد الحسيني" أمام "أحمد المسلم" قائلاً لهم:

- أخفضوا أسلحتكم.

أخفض الكل أسلحته وتدخل رجال الشرطة يريدون القبض على "أحمد".

"عماد الحسيني":

- ماذا تفعلوا هذا وكيل النائب العام!.

نظر "أحمد" إلى جثة أكرم وبصق.. ذهب إلى سيارته ينادي عليه "كريم":

- عمو "أحمد".

التفت إليه "أحمد المسلم" مشيراً له بالوداع ولا يرجع له.. يمسك "عماد الحسيني" "كريم" بيد وفي يده الأخرى حقيبة المال، يقابله ضابط يعطيه حقيبة المال يستمر مع "كريم" في السير داخل الصحراء للذهاب إلى سيارته المختبئة.

****

- 23 -

داخل مكتب المحامي العام يجلس "أحمد المسلم" أمامه لا ينظر إليه منتبهاً فقط لسمعه.

- أنت في عز أزمتك واستقالتك كانت مرفوضة وليس من المعقول الآن قبولها.. اسمع يا بني الكل يعلم أنك ظُلمت وعشت ظروفاً قاسية ومن واجبي عليك أن أنصحك كأب قبل أن أكون رئيسك في العمل .. أنت لم تضحي بزوجتك ولا تخليت عنها ولا كان بيدك شيء ممكن فعله .. هذا عمرها وقدرها.. وعلمت أيضاً من "حسن" ظروف مرضها.. لم يكن من الممكن أن تفعل لها شيئاً!.

"أحمد":

- كان قتلها مرضها أهون بكثير من أن تقتل برصاصة.

المحامي العام:

- لا تنس أن مرضها هذا كان سوف يقتلها في اليوم أكثر من مرة .. وكنت أنت تمنيت لها الرحيل قبل معاناة المرض.

نظر إليه "أحمد" وكأنه وجد بريق أمل لموتها وأكمل المحامي العام:

- قرار الاستقالة وسفرك خارج البلد ليس هو الحل.. أنت من الممكن أن تهرب من الحاضر لكنك لن تستطيع أن تهرب من الماضي .. عليك أن تواجه مصيرك هنا.. عد لعملك أنت حقاً تستحق أن تكون في هذه المهنة.. العدل.

"أحمد":

- وهو من العدل أن شخصاً آخر يدفع الثمن.

المحامي العام:

- وتعتقد أنت أننا من العدل أن نحاسب الله على أقداره.

وقف المحامي العام متجهاً نحو "أحمد" الذي قام يقف ويتابع قائلاً:

- تمت ترقيتك ونقلك لمنصبك الجديد.. اذهب ودع مكتبك القديم ولا تنس ميعاد لقائك مع النائب العام.

يفتح له المحامي العام ذراعيه ويحتضنه قائلاً:

- ابدأ من جديد حياتك.

يبتعدان عن بعضهما البعض قائلاً المحامي العام:

- أظن أن القدر أرسل لك هدية .. ربما عليك أن تفكر في قبولها!.

أنهى "أحمد" اللقاء عاجلاً:

- بعد إذن حضرتك سيادة المستشار.

المحامي العام:

- مع السلامة.

خرج "أحمد" من المكتب، يبدأ في تنفيذ دينه ووعده، ذهب إلى منطقة شعبية .. وداخل شقة قديمة، يقف أمام باب شقة في يده حقيبة، قرع الجرس، **فتحت الباب طالبة في الثانوية العامة سألها:**

- هذا منزل الأستاذ "رمضان الوكيل".

الطالبة:

- نعم وأنا ابنته.

"أحمد":

- هل هو بالداخل.

الطالبة:

- نعم .. لكن أقول له من؟.

"أحمد":

- "أحمد المسلم" وكيل النائب العام.

الطالبة:

- تفضل بالدخول.

دخل "أحمد" وجلس، ودخلت الطالبة إلى الغرفة.. خرج عليه والد "آمال" مفزوعاً:

- أهلاً وسهلاً يا "أحمد" بيه.

وقف "أحمد":

- أنا آسف لهذه الزيارة المفاجئة.

والد "آمال":

- تفضل يا "أحمد" بيه هذا بيتك.. لكن أليست القضية انتهت؟.

"أحمد":

- قضائياً ربما لكن إنسانيًّا لا.. أنا هنا لأني أحمل أمانتين.. منهما اعتذاراً وأرجو أن تقبله.

والد "آمال":

- اعتذار لمن!.

"أحمد":

- اعتذار من "بدر".

والد "آمال" مندهشاً:

- "بدر"!.

"أحمد":

- وأيضاً مني .. لا تندهش .. أنا عندما كنت أحقق في القضية كنت متخيلاً إن "آمال" عشيقته.

وكأن هذه الكلمة توجع الوالد، ويريد ألا يسمعها لكن "أحمد" على الفور قائلاً:

- لكن الحقيقة هي كانت زوجته وبعقد رسمي.. ابنتك كانت ضحية.

ابتسم الرجل ويبكى في آن واحد، لا يعرف هل يجمع بين حزنه أم فرحه لرد كرامته، **والآن يقول لنفسه ما كان لا يستطيع أن يفعله:**

- الله يرحمها.

"أحمد":

- الآن تستطيع إن تأخذ عزاءها وأنا أيضاً آخذ عزاء زوجتي.

والد "آمال":

- أنا عاجز عن الشكر لك.

"أحمد":

- "آمال" و"بدر" ضحايا .. كان يجمع بينهما الحب الصادق في زمن الخداع والكذب .. كانا يستحقان الحياة.

تصيب الرجل حالة ذهول فيقف يقول لنفسه:

- أنا كنت واثقاً من تربية ابنتي .. أنا لم أدخل عليهم هنا مالاً حراماً .. الحمد لك يارب.

"أحمد":

- وثمة أمر آخر مهم.

أنهى "أحمد" معه اللقاء، وذهب لأهم مشوار عنده إلى المقابر، يقف أمام قبر زوجته يتحدث معها:

- سوف أعود للعمل مرة أخرى.. ليس رغبة في العمل ولكن انتقاماً لنفسي.. وأعدك أنني علي سابق عهدي قبل وبعد العمل سوف أمر عليكِ أتحدث معكِ.. لكن لا استطيع أن أسمعك وأحضنك كما كنا!.

******

- 24 -

في يوم جديد يسير "أحمد المسلم" متجهاً لمكتبه القديم، مرتدياً نظارته الشمسية، يقابله "عماد الحسيني" يسير بجانبه، سأله "أحمد" وكأنما يتجاهله:

- تهانينا على ترقيتك .. أتمنى لك أن تجد قضية جديدة تعلق منها على أكتافك ترقية جديدة!.

"عماد الحسيني":

- أي قضية أخرى في هذا الوقت الحالي لن آخذ منها إلا مكافأة .. سني لا يسمح لي بترقية جديدة.

وبعد ثلاث خطوات .. سأله "عماد الحسيني":

- أين باقي المال؟.

"أحمد":

- عندك ما يثبت.

"عماد الحسيني":

- هذه المرة نعم.

يقفان أمام باب المكتب "عماد الحسيني" قائلاً:

- تفضل يا "أحمد" بيه.

وفتح له "عماد الحسيني" الباب، دخل "أحمد" وجد بانتظاره "سلمى" و"كريم" ركض نحوه "كريم":

- عمو "أحمد".

يحمله "أحمد" ويقبله:

- ألم يكن من المفترض أن تكون الآن في مدرستك!.

"كريم":

- أمي لأول مرة وافقت عن عدم حضوري المدرسة اليوم حتى أراك.

"أحمد":

- كيف حالك يا مدام "سلمى"؟.

نزل "كريم" على الأرض فترد عليه "سلمى":

- بخير.

يقطع حديثهما "عماد الحسيني" ويقف بينهما قائلاً:

- نكمل باقي حديثنا عن المال.

"أحمد":

- لو عندك ....

تجاهله "عماد الحسيني" ونظر إلى "سلمى" مجيباً:

- بعد قرار السيد النائب العام بالحجز على كل أموال "مصطفى زهران" وحتى الوديعة المتروكة باسمك في البنك من زوجك.. "أحمد" بيه كان معه المال الذي كان سوف يشتري من خلاله "مصطفي زهران" صفقة الآثار.. فقام بتسليم ربع المال للدولة والباقي جعل الجزء الأكبر باسم والدتك في البنك بعد قرار رفع الحصانة عن والدتك الذي أيضا كان هو السبب فيه.. وباقي المال لورثة زوجة "بدر".. بعد ما "أحمد" بيه رد كرامتها وكرامة أهلها وأظهر ورقة الزواج الرسمي وأيضاً ساعد ورثتها في تعديل إعلام الوراثة.

"سلمى":

- هل "بدر" كان متزوجاً؟.

"أحمد":

- في السر.

"سلمى":

- كان خائفاً!.

وهزت رأسها من سخافة الموقف وأكمل "عماد" حديثه:

- وبما أن هذا الموقف غير قانوني .. لكنه حقاً إنساني وعندي شرط ممكن أغفل عن هذا المال وأنهي ملف القضية.. والبنك سوف يتصرف في استرداد باقي القروض أو حتى لا يتصرف هذا شأنه.

"سلمى":

- وأنا لن أقبل هذا المال.

"أحمد":

- لا هذا مالك ومال ابنك وأنا لن أقبل أن تتنازلي عن هذا المال .

"عماد الحسيني":

- إذاً سوف تقبل شرطي.

"أحمد":

- موافق عليه.

"عماد الحسيني":

- رغم أنك شككت فيَّ إلا إنه كان من حقك .. ورغم أنني للأسف ظللت مستمراً في الشك فيك إلى ليلة أمس .. حتى أعرف مصير باقي المال.

"أحمد":

- وعرفت!.

"عماد الحسيني":

- حتى إن كان شكي في محله.. أنا كنت سوف أغلق القضية.

"أحمد":

- ما هو شرطك؟.

"عماد الحسيني":

- تتقبل اعتذاري وتسمح لي وهذا سوف يكون شرفاً أن نصير أصدقاء.

يمد "عماد الحسيني" يده ليصافحه .. يفكر "أحمد" وينظر إلى "سلمى" التي ابتسمت من أجل إتمام المصافحة، **فصافحه "أحمد" قائلاً:**

- وأنا أيضاً اعتذر على ما بدر مني تجاهك.. كان لك الحق أن تشك فيَّ.

في إنهاء المصافحة دخل عليهم حسن الذي يملأ بسعادته المكتب:

- أنا كنت أعلم أنك أقوى من محنتك وسوف تعود لعملك.

وارتمي "أحمد" بحضنه.

"حسن":

- مبروك عليك نيابة أمن الدولة والترقية.

نظر "حسن" إلى "سلمى" وكأنه يشبه عليها فاقترب منها:

- مدام "سلمى".

"عماد الحسيني":

- ما هذا الذكاء!.

"حسن":

- أنت لا تتحدث عن الذكاء.. لكن أنتِ أجمل مما تخيلت.

"عماد الحسيني":

- ممكن حضرتك تقومين بالبلاغ عنه الآن أنه حاول التحرش اللفظي .. وأنا شاهد.

"حسن":

- الناس تحفر للبحث عن البترول وهذا الرجل يبحث عن أي قضية.

فابتسم "أحمد" للمرة الثانية داخل الأحداث حتى "حسن" يعلق عليها قائلاً:

- "أحمد المسلم" ابتسم! أكيد سوف تحدث عواصف.

فضحك "أحمد" وأردف "عماد الحسيني" قائلاً:

- "حسن" بيه هو السبب في حل ألغاز القضية.

"حسن":

- لم يا "عماد" بيه قلت ! أنا أحب أساعد في الخفاء.

ضربه على كتفه "أحمد المسلم" كي يكف عن السخرية.

"عماد الحسيني":

- وبهذه المناسبة كلكم مدعوون غداً لعيد ميلاد ابنتي.

ونظر إلى "حسن" قائلاً:

- طبعاً يا "حسن" بيه لا أريد أن أعطلك عن عملك.

"حسن":

- أنا سوف آتي.

تبتسم "سلمى" ابتسامتين الأولى لحديث "حسن"، والثانية عندما نظرت إلى "أحمد" ويبادلها النظر يرغبان بالكلام، يفهم "عماد الحسيني" و"حسن" هذه الابتسامة، **يبدأ "حسن" بالخروج قائلاً:**

- أنا خارج احتسي الشاي.

"عماد الحسيني":

- وأنا أيضا سوف احتسي القهوة على حساب "حسن" بيه.

نظر إليه "حسن" باستياء قائلاً:

- سادة ولا سكر زيادة.

"عماد الحسيني":

- وبما تفرق في النهاية ثمنهما واحد!.

نظر "عماد الحسيني" إلى "كريم":

- تعالٍ معنا يا "كريم".

أخذ "حسن" "كريم" في يده، وخرج ومعه "عماد الحسيني"، خارج المكتب يتكلم "حسن" إلى العسكري:

- لا تدخل أحد المكتب.

يسير "حسن" بجانب "عماد الحسيني" في البهو، فسأله "عماد الحسيني":

- تعتقد ممكن تتغير الأقدار؟.

أما "سلمى" بعد ابتسامة الخجل:

- كلما أتذكر ما فعلته معك أشعر بالخزي من نفسي والندم .. أنت رجل أدين لك بالكثير وتستحق كل التقدير والشكر .. ورغم هذه القسوة لكن ليس هذا كرهاً .. ممكن تعتبره دفاعاً عن ماضيَّ .. تعتقد أننا ممكن نتغلب على هذا الماضي بكل سهولة .. بعد ما ...

منعها من الكلام قائلاً:

- كل واحد منا يعيش في ذكريات مستحيل أن ننسي ليلة من لياليها .. أو نمحو يوماً أو لحظة .. أو نطوى صفحة من الماضي حتى لو كانت مؤلمة .. وربما كلمة مستحيل أقل على وصف الحال .. لكننا ندور في ساقية الزمان الحال يتبدل ويتغير .. وإن حاولنا التغلب على ماضينا أكيد سوف نتقابل؛ كل

الظروف تمهد لهذا.. لكن الآن مازلت الحواجز أعلى من أحلامنا وأمانينا .. وكأن القدر جمعنا ليثبت ثباتنا على أمسنا.. وما نحن عليه الآن دليل على أننا لا نستطيع الرحيل لدنيا جديدة .

"سلمى":

- تسمح لي أسألك لمَ فعلت كل هذا لأجلي؟.

ابتسم "أحمد" قائلاً:

- أنتِ ضحية الظالم الذي ظلمني .. وأنا رجل أخدم العدل.

ابتسمت "سلمى":

- كل مرة أقابلك فيها تكبر في نظري أكثر.

"أحمد":

- طبعاً أحب أطمئن عليكِ وعلى "كريم" باستمرار ومكتبي الجديد مفتوح لكِ في أي وقت.

"سلمى":

- أكيد.

فتقع عيناها على صورة زوجته فتستأذنه:

- تسمح.

يتركها تأخذ صورة زوجته من على المكتب نظرت فيها وابتسمت قائلة:

- كانت جميلة.

أخذ منها "أحمد" الصورة يتأمل فيها وكأنما يمسك وردة بين يده:

- أجمل إنسانة رأيتها في حياتي.

ابتسمت "سلمى" لإحساسه قائلة:

- استأذن أنا حتى لا يضيع ميعادي مع أمي.

"أحمد":

- أخبريها تحياتي.

خرجت "سلمى" ويبدأ "أحمد" يلف في المكتب، يجمع أغراضه الشخصية في صندوق كرتونيّ، يجمع الكتب والملفات وصورة زوجته التي يفضل أن يحملها في يده.

ظهرت "سلمى" من بعيد أمام "حسن" و"عماد الحسيني"، الذي يضحك بصوت عالٍ مع "حسن" وكأنهما أصدقاء منذ سنوات، غمز له "حسن" أن ينظر إلى "سلمى"، فنظر إليها "عماد الحسيني" وهو يتأسف بوجهه. **يرد عليه "حسن":**

- صدقتني.

"عماد الحسيني":

- وأنا كنت لم أكذبك.

يراها "كريم" فركض نحوها، تمد "سلمى" وتضعه تحت ذراعيها يقول لها:

- أريد عندما أكبر أكون ضابطاً مثل العم "أحمد".

ابتسمت "سلمى" وكأنها تتخيل مستقبله قائلة:

- لكن يا حبيبي العم "أحمد" ليس بضابط ! إنه وكيل النائب العام.

"كريم":

- ماذا يعني؟.

"سلمى":

- سوف أشرح لك في المنزل.

أتي "أحمد" من بعيد، يحمل الصندوق وفي يده الأخرى صورة زوجته، يرى "كريم" و"سلمى" فيبتسم.

وينظر إلى "حسن" و"عماد الحسيني" مشيراً إليهما بابتسامة أخرى.

يهمس "عماد الحسيني" له:

- لا تنس حفلة عيد الميلاد.

هز "أحمد" رأسه، ويسير "عماد الحسيني" و"حسن"، فسأله "عماد الحسيني":

- تعتقد ممكن في يوم من الأيام يجمع القدر "سلمى" و"أحمد"؟ .. أقدارهما متشابهة وربما يكونان تعويضاً لمستقبلهما.

"حسن":

- ربما!.

يأتي قبل النهاية حفل عيد ميلاد ابنة "عماد الحسيني"، والكل مجتمع فيه حتى زوجة "حسن" وأطفاله وهناك بعيد في المطار المستشار المحامي "كمال" يستعد للمغادرة .

وتكون "سلمى" قد اشترت شقة جديدة ومعها أمها، و"أحمد المسلم" و"حسن" و"عماد الحسيني" في الكافيه و"حسن" كما كان يدخن الشيشة.

بالنهاية، تقود سلمى سيارتها الجديدة بمفردها ليلاً، وأيضا أحمد يقود سيارة زوجته، كل منهما يشغله التفكير بعد أن ظهر في السماء القمر مكتملاً بنوره حول النجوم.

(النهـــايـــــة)